نظريات في علم الاجتماع
دراسة عقدية نقدية

إعداد
د/ عبد الله ضيف الله أحمد ال حوفان
جامعة أم القرى

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن علم الاجتماع من العلوم الإنسانية الحديثة، والتي كان ولا يزال لها أثرها الكبير في واقع الناس اليوم، ولقد أكثر بعض المثقفين من تمجيد هذا العلم واعتباره المنقذ للبشرية والمعتمَد عليه في تقدم الإنسانية.

ولم يكن أثر هذا العلم على الفكر فقط؛ بل تعدّاه إلى الآثار السلوكية والاجتماعية؛ وإن علماً كهذا حريٌّ بنا أن نتعرف عليه ونسبر أغواره ونبين آثاره ونذكر ما له وما عليه.

لذا اخترت موضوع:[نظريات في علم الاجتماع دراسة عقدية نقدية].

* أهمية الموضوع:

1- الكشف عن أهم نظريات علم الاجتماع وبيان حقيقتها، وذكر الخلفيات التي قامت عليها، والظروف التي أدت لنشأتها وأثرت في تكوينها.

2- دراسة سِيَرْ أصحاب تلك النظريات وكشف دوافعهم للقول بها، وكشف الجهات المشبوهة التي كانت خلف نشر تلك النظريات وترويجها.

3- بيان قيام نظريات علم الاجتماع على الإلحاد أو بعض الفلسفات الوثنية.

4- التأكيد على أن تلك النظريات قامت على أفكار البشر وتجاربهم الشخصية في معزل عن الوحي المقدس.

وقد استخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وقسّمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهرس للمراجع وآخر للموضوعات، فما كان فيه من حق وصواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمن نفسي والشيطان، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ،،،،

المبحث الأول: مقدمات في علم الاجتماع:

أولاً: تعريف علم الاجتماع:

الاجتماع: ضد الاختلاف، والجمع يدل على تضامّ الشيء[1].

وأما (المجتمع) فللعلماء تعريفات عديدة له، وهو باختصار:

[مكان الاجتماع، ويطلق مجازاً على جماعة من الناس خاضعين لقوانين ونظم عامة][2].

وأما تعريف (علم الاجتماع) في الاصطلاح: [(فلعلم الاجتماع من التعريفات قدر ما وُضِع فيه من الكتب) بهذه العبارة يستهل أحد أساتذة علم الاجتماع في الولايات المتحدة مؤلَّفاً عن المجتمع ومشكلاته [3]، وهذه العبارة ليست من قبيل المبالغة وإنما هي حقيقة يلمسها المشتغلون بالعلم، فالتعريفات التي وُضعت لعلم الاجتماع بلغت من الكثرة والتعدد درجة تفوق الحصر، بحيث لا يتسنى لباحث - مهما أوتي من وفرة في الوقت وسعة في الاطلاع- أن يحيط بها جميعاً، وترجع كثرة هذه التعريفات إلى تشعّب الموضوعات وكثرة المسائل التي يعالجها علم الاجتماع وإلى تعدد مدارس الفكر الاجتماعي وتباين التفسيرات التي تشرح الواقع الاجتماعي واختلاف المنطلقات الأيديولوجية للمفكرين، بالإضافة إلى تنوع الأبعاد والقضايا التي ينظر الباحثون من خلالها إلى المجتمع، خاصة أن طبيعة المجتمع نفسه تقبل النظر إليه من زوايا متعددة] [4].

وأذكر هنا بعض هذه التعريفات:

فقد قيل هو:[الدراسة العلمية للجماعات الإنسانية والحياة الاجتماعية وأنماط العلاقات البشرية دون الاهتمام بسلوك الأفراد أو الحالات الخاصة بالفرد] [5].

وقيل هو: [العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية دراسة علمية بهدف الكشف عن القوانين أو القواعد أو الاحتمالات التي تخضع لهذه الظواهر في ترددها أو اتجاهها أو اختفائها] [6] .

وقيل هو:[العلم المتخصص الذي يُعنى بدراسة المجتمعات والجماعة بهدف التعرف على بناءاتها الأساسية ونظمها المحورية وما يطرأ عليها جميعاً من تغيرات وتحولات] [7] .

---

(1) انظر: الصحاح للجوهري (479/1) و القاموس المحيط للفيروز أبادي ص306-307 .

(2) المنجد في اللغة والأدب والعلوم ص101 . وانظر: علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث 191-200 و علم الاجتماع لعبد الحميد لطفي ص40-41 فقد ذكرا تعريفات كثيرة عرّف بها الغربيون المجتمع. وانظر كذلك علم الاجتماع ومدارسه لمصطفى الخشاب (116/2-117) و مفاهيم علم الاجتماع للسيد الحسيني ص47 و مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص56 .

(3) هو (صمويل داو) في كتابه: المجتمع ومشكلاته.

(4) علم الاجتماع لعبدالباسط محمد حسن ص97 .

(5) هو تعريف فهمي سليم وآخرون في كتابه المدخل في علم الاجتماع ص18.

(6) هو تعريف عبدالحميد لطفي في كتابه علم الاجتماع ص36.

(7) هو تعريف السيد الحسيني في كتابه مفاهيم علم الاجتماع ص9.

وقيل هو: [أحد العلوم الاجتماعية التي تدرس المجتمع الإنساني وتختص بدراسة وتحليل العلاقات والظواهر الاجتماعية التي توجد بين الأفراد والجماعات التي ينتمون إليها وبين الجماعات بعضها ببعض] [1] .

وقيل هو: [الدراسة المنهجية المنضبطة وتفسير العلاقات الاجتماعية المنتظمة ومحاولة التعرف على أسبابها والظروف المؤثرة فيها والنتائج التي تترتب عليها] [2] .

وقد ذكر العلماء تعريفات أخرى غير ما ذكرنا[3].

وهذه التعريفات متقاربة فهو: علم يهتم بدراسة المجتمع والسلوك والإنساني والعلاقات الاجتماعية دراسة علمية من أجل الوصول إلى تفسير هذه الظواهر وبيان أسبابها وآثارها.

ويُسمى هذا العلم (علم الجماعة) وذلك لأن وحدة الدراسة فيه هي الجماعة[4].

- أما (النظرية الاجتماعية) فلعلماء الاجتماع تعريفات مختلفة لها، ومن هذه التعريفات ما يلي:

قيل هي: [نَسَقٌ من المعرفة المعممَّة، تفسِّر الجوانب المختلفة للواقع] [5].

وقيل هي: [مجموعة قوانين منطقية مستخرجة من الواقع الاجتماعي، يُستخلص منها استنتاجات دقيقة] [6] .

وقيل هي: [مجموعة من المفاهيم العامة المترابطة منطقياً أو ذات العلاقات المنطقية التي تؤلِّف كيان النظرية][7] .

وقيل هي: [مجموعة من الأفكار المنسقة أو المنظمة يُنتجها التأمل والخبرة، وتصوغ مادتها في سياق تحليلي داخل إطار من المبادئ والمفاهيم الموجهة والهادية] [8] . وقيل غير ذلك من التعاريف[9] .

([1]) هو تعريف أحمد كمال في كتابه قراءات في علم الاجتماع ص5.
([2]) هو تعريف محمد الجوهري في كتابه علم الاجتماع النظرية والموضوع والمنهج ص111.
([3]) انظر: علم الاجتماع، عبدالحميد لطفي ص30-36 و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص18 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص112-117 و علم الاجتماع لمصطفى فهمي ص50 و مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص9 .
([4]) انظر: مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص9.
([5]) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص29 .
([6]) المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص412 .
([7]) معالم بناء نظرية التربية الإسلامية لمقداد يالجن ص15 .
([8]) المصدر السابق ص17 .
([9]) انظر: علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص4-8 و مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص16 و النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص36 .

فهي عبارة عن مفاهيم وقوانين مترابطة متّسقة تعتمد على التجربة الواقعية حول ظاهرة من الظواهر الاجتماعية.

وتكمن أهمية النظرية في علم الاجتماع في أنها الموجّهة للباحث والتي تحدِّد له اتجاه البحث وتبيّن موضوعه وملامحه وتنظِّم عملياته وتضبط مساره، وبدونها يتخبط الباحث ويضيّع الجهد ويُهدر الوقت، ولقد [أجمع كل الباحثين في هذا الميدان على أن البحث دون سند من نظرية أو دون اتجاه إلى نظرية ليس إلا نوعاً من العبث][1].

كما أنها تُجنِّب الباحث تفسير ما تم تفسيره من قِبَل باحثين آخرين[2].

ويُشترط لهذه النظرية أن تتميز بالدقة في ألفاظها والوضوح في معانيها والموضوعية في طرحها، وأن تكون معتمدة على الملاحظة والتجربة، وألا تتدخل ظروف خارجية في التأثير عليها، وأن تتّسِم بالعقلانية، مع الأخذ في الاعتبار احتمالية الخطأ ونسبية الحقيقة[3].

ثانياً: نشأة علم الاجتماع وتطوره[4]:

[يعد المفكر العربي المسلم: (ابن خلدون) رحمه الله أول من فطن إلى أن دراسة المجتمع يمكن أن تكون موضوعاً لعلم خاص، وقد اعتبر حوادث التاريخ أكبر معمل تُجرى فيه التجارب الاجتماعية على سجيتها ولهذا السبب اهتم بتنقيته من الأخطاء التي علقت به ونادى بقيام علم جديد للمجتمع سمّاه: علم العمران أو الاجتماع البشري ويُعتبر ما قام به ابن خلدون بمثابة بذر البذور ووضع القواعد لتأسيس علم اجتماع مستقل واضح المعاني][5].

فابن خلدون رحمه الله هو أول مفكر قرر بصفة علمية حاسمة ضرورة قيام علم الاجتماع، وهو الذي حدد موضوعه ومنهجه وعالج مسائله، غير أن بحوثه لم تتح لها فرص الذيوع والانتشار، وظلت طي النسيان إلى حين، فأُهمِل علم الاجتماع من بعده وتعثرت الدراسات

([1]) علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص5 . وانظر: النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص30-33 و ص47-50.

([2]) انظر: مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص16 .

([3]) انظر: علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص7-13 و مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص16-17 .

([4]) انظر: علم الاجتماع لعبد الباسط محمد حسن ص9-30 و علم الاجتماع لمصطفى فهمي ص7-37 و مفاهيم علم الاجتماع للسيد الحسيني ص16-17 وعلم الاجتماع لعبدالحميد لطفي ص261 و علم الاجتماع النظرية والموضوع والمنهج لمحمد الجوهري ص8-13 و مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص10 و ص18-19 و قراءات في علم الاجتماع لأحمد كمال ص5-7 .

([5]) مبادئ علم الاجتماع لطلعت إبراهيم لطفي ص5 .

الاجتماعية ولم تتقدم، حتى جاء القرن التاسع عشر الميلادي عندما قرر الفيلسوف الفرنسي (أوجست كونت) ضرورة قيام علم الاجتماع[1].

غير أن الدراسات والبحوث الاجتماعية شهدت فيما بين ابن خلدون وأوجست كونت تطوراً ملحوظاً: إذا عكف على الكتابة فيه طوائف من العلماء[2]، وقد بدأ هذا العلم في الظهور كعلم مستقل منذ حوالي منتصف القرن التاسع عشر، وحقق تقدماً حاسماً خلال النصف الأول من القرن العشرين على يد كثير من العلماء والاجتماعيين أمثال: (سبنسر) في انجلترا و (دوركايم) في فرنسا و (فرديناند تونيز) و (ماكس فيبر) في ألمانيا و (تولكوت بارسونز) و (ألفين جولدنر) في الولايات المتحدة الأمريكية[3] .

أما مصطلح (علم الاجتماع) sociology فقد صاغه (أوجست كونت) في القرن التاسع عشر الميلادي، وهو مصطلح مزيج من اللاتينية واليونانية، ويتكون من مقطعين: يشير أولهما (socio) إلى المجتمع ويشير المقطع الآخر (Logy) إلى العلم، ومن ثم فإن المصطلح يعطينا تعريفاً أولياً لهذا العلم على أنه: (علم الاجتماع) [4] .

فهو علم أوروبي النشأة تأسس على يد الفرنسي (أوجست كونت) نتيجة لتغيرات ثورية درامية عنيفة في البيئة الفكرية والدينية والسياسية والاقتصادية في المجتمع الأوربي في القرنين السادس عشر والسابع عشر وذلك في ظل ثلاث ثورات كبرى: ثورة اقتصادية قضت على بقايا نظام اقتصادي قديم وظهرت فيها الصناعات الكبيرة والتقنية الحديثة، وثورة فكرية على يد فلاسفة التنوير، وثورة سياسية هي الثورة الفرنسية المعادية للدين والمنادية بإلغائه.

وفي خضم هذه الثورات وجد الإنسان نفسه في فوضى اجتماعية ومشاكل اقتصادية واضطرابات سياسية فكان لابد له من علم جديد يتولى تفسير هذه التغيرات التي حدثت في المجتمع ويدرسها ويعالجها ويقدم الحلول المناسبة لها، فأنشأ (كونت) هذا العلم رغبة في إصلاح المجتمع وحمايته من الفوضى التي يعيشها[5].

[نشأ علم الاجتماع بعد أن تم التأليف بين تيارين كانا يسودان في أوروبا هما التيار العقلاني والتيار التجريبي، وهما تياران يخلعان ثقتهما العظيمة على العقل والملاحظة كوسيلتين لحل

([1]) تكلم كثير من العلماء عن (علم الاجتماع الإسلامي) وذكروا تعريف وموضوعه وأهميته وأهدافه ومجالاته. انظر على سبيل المثال: علم الاجتماع الإسلامي لزيدان عبدالباقي و حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية لمحمد قطب و المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع لنبيل السمالوطي و علم الاجتماع لمصطفى فهمي 13-21. وغيرها.

([2]) انظر: علم الاجتماع ومدارسه لمصطفى الخشاب (191/1) و(5/2).

([3]) مبادئ علم الاجتماع لطلعت إبراهيم لطفي ص4 باختصار .

([4]) مبادئ علم الاجتماع لطلعت إبراهيم لطفي ص5-6 .

([5]) انظر: علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام لأحمد إبراهيم خضر ص43-45 و مبادئ علم الاجتماع الاجتماع لطلعت إبراهيم لطفي ص6 .

مشاكل الإنسان والمجتمع ويريان أن المجتمع يخضع لسنن طبيعية وليس لسنن إلهية وأنه يمكن حل مشكلات المجتمع بالكشف عن هذه القوانين لا بالرجوع إلى الله خالق هذه القوانين][1].

* ويمكن تلخيص أسباب نشأة علم الاجتماع يما يلي:

1- نشأ كردّة فعل لما كانت تمارسه الكنيسة من ظلم واستبداد وما كانت عليه من أباطيل وخرافات.

2- نشأ نتيجة تيارات فكرية وأخلاقية كانت سائدة في بلاد الغرب.

3- نشأ نتيجة أزمات سياسية (الثورة الفرنسية) واقتصادية (الثورة الصناعية وتحول المجتمع الأوروبي من الاقتصاد الزراعي إلى الصناعة).

فنشأ العالم ليقدم الحلول إزاء هذه الأزمات[2].

فهو علم نشأ في أحضان الغرب وارتبط بهم ارتباطاً مباشراً، ومصادره هي الفلسفة اليونانية ومنابعه من الفكر النصراني ومرجعيته هي البيئة الأوروبية[3].

ثالثاً: أبرز شخصيات علم الاجتماع:

حينما يُذكر علم الاجتماع يُذكر رواده ومؤسسيه من أمثال: (أوجست كونت) و(سبنسر) و(دوركايم]) و (ماركس) و(ماكس فيبر) و(فلفريدو باريتو) و(لبلاي) و(جورج سيمل) و (سان سيمون) و (فرديناند توبز) وغيرهم، وهؤلاء هم المؤسسون لأغلب النظريات الاجتماعية.

ولا شك أن معرفة مؤسسي هذا العلم يبين لنا خلفياتهم الفكرية وتأثراتهم ويفسِّر لنا أسباب إنشائهم لهذه النظريات والدوافع التي دعتهم لتأسيسها[4]، وسأقتصر على أبرز هؤلاء العلماء ومنهم:

1) أوجست كونت:

فيلسوف فرنسي عاش ما بين عامي (1798م و 1857م) وهو مؤسس علم الاجتماع، وصاحب النظرية الوضعية، وُلد في مدينة مونبلييه الفرنسية في أسرة نصرانية شديدة التعلق بالكاثوليكية، رقيقة الحال.

([1]) علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام لأحمد إبراهيم خضر ص45.
([2]) انظر: المصدر السابق، ص43-45، ومدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص52-55.
([3]) انظر: علم الاجتماع ومدارسه لمصطفى الخشاب (7/1) .
([4]) انظر: علم الاجتماع لعبد الباسط محمد حسن ص101-109 و النظرية في علم الاجتماع لعبد الله محمد عبدالرحمن ص119-467 و علم الاجتماع النظرية والموضوع والمنهج لمحمد الجوهري ص8-54 و علم الاجتماع ومدارسه لمصطفى الخشاب (7/3) وما بعدها .

ولما بلغ سن الرابعة عشر من عمره نبذ الإيمان بمبادئ الدين وعكف على دراسة كتب الفلسفة معتمداً على قراءاته الخاصة، وتأثر بالكاتب الفرنسي الشهير (سان سيمون)، وهو من رواد المذهب الاشتراكي ، وكان بمثابة أستاذ له.

كانت تنتابه أزمات عقلية، ولقد هام بسيدة تعرّف عليها ثم توفيت بعد سنتين فأخذ منها مثال الإنسانية، وكان يتوجه لها بالفكر والصلاة كل يوم.

ألّف كتباً كثيرة في الفلسفة، وله كتاب في علم الاجتماع بعنوان: (دراسات في الفلسفة الوضعية)، وكتاب بعنوان: (مشروع الأعمال العلمية الضرورية لإعادة تنظيم المجتمع)، وانتهى إلى ضرورة قيام الدين الوضعي الذي يقوم على أساس عبادة الإنسانية كفكرة تحل محل فكرة الإله في الديانات السماوية، وقد توفي عام 1857م[1].

2) إيميل دوركايم:

يهودي فرنسي عاش ما بين عامي (1858م – 1917م) ، وكان سليلاً لأسرة من الأحبار اليهود، وتعلّم العبرية ودرس التوراة وبروتوكولات حكماء صهيون، وأراد أبوه أن يكون رجل دين، وكذلك أراد هو، ويعتبر مؤسس علم الاجتماع الحديث والممهد لنقل النظرية الاجتماعية الغربية من وضعية (كونت) إلى أعتاب الوظيفية.

تخصص في علم الاجتماع وصار رائداً له بعد (كونت)، وتأثر بفلسفته وكان تابعاً له ثم أصبح له ناقداً، وهو صاحب الفلسفة الاجتماعية وزعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع.

أولى الدراسات الاجتماعية مزيد اهتمامه، وسافر إلى ألمانيا ليتتلمذ على أقطار مفكريها، وأرسى دعائم هذا العلم بمختلف فروعه، وعمل مدرساً فأستاذاً جامعياً في (السوربون).

وهو صاحب نظرية: (العقل الجمعي) القائمة على أن العقل المشترك للمجتمع هو الموجِّه لكل فرد فيه وهو المكوِّن لأفكار الأفراد ومذاهبهم وعاداتهم ومفاهيمهم؛ فهو أصل الدين والأخلاق، وقد دعا إلى أن نصنع أخلاقاً لأنفسنا انطلاقاً من معطيات الحاضر وتكون غير قائمة على الدين، كما دعا لقيام دين وضعي علماني ينبثق من الحياة نفسها وليس من الماضي الميت.

---

(1) انظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة لعبدالرحمن حسن حبنكة ص405-407 و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص38-39 و علم الاجتماع ومدارسه لمصطفى الخشاب (227/1-228) و علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام لأحمد إبراهيم خضر ص43-49، وعلم الاجتماع لعبدالحميد لطفي ص262-265 .

ساهم في إصدار أول قانون فرنسي عام 1882م يحظر إمداد الأطفال في التعليم الأولي بتعليم ديني من سن السادسة إلى الثالثة عشر، وطُبّق ذلك بالفعل في المدارس الفرنسية، له مؤلفات كثيرة، وتوفّي عام 1917م[1].

3) هربرت سبنسر:

فيلسوف إنكليزي ملحد، عاش ما بين عامي (1820م – 1903م)، قيل هو أعظم فيلسوف إنكليزي في القرن التاسع عشر، ورث نزعة الإلحاد عن أبيه وجده.

نشأ كسولاً غير مهتم بالتعلم، وكان ينفر من مدارس العلم، وأمضى معظم شبابه دون أن يتعلم شيئاً ذا أهمية، وبعد الثلاثين من عمره حاول أن يقرأ ما كتبه (كونت) ولم يعجبه ذلك، ولم يقرأ كتاباً واحداً من العلوم إلى آخره، واتجه أخيراً إلى تأليف كتبه معتمداً على مواهبه الفطرية وملاحظاته المباشرة، وله عدة مؤلفات، سيطر عليه الفكر الإلحادي وملأت ناظريه الأشياء المادية وظن أنها كل شيء في الوجود، كان يرى أن الحياة والعقل والمجتمع والأخلاق كلها خاضعة للتطور، توفّي عام 1903م[2].

4) كارل ماركس:

وهو مؤسس الشيوعية[3] المعاصرة، يهودي ألماني عاش ما بين عامي (1818م – 1883م)، كان أبوه محامياً في ألمانيا فصدر قرار بمنعه من ممارسة المحاماة بسبب يهوديته فاعتنق المسيحية نفاقاً وكان (كارل) في السنة السادسة، ولم يواصل دراسته الجامعية، وكان صاحب مزاج خاص، وكان أبوه ينفق عليه ثم أمه وأخته المريضة.

وكان من أساتذته الكبار الذين أثروا فيه اليهودي: (موسى هس) رائد الصهيونية، تم طرده من عدة أقطار بسبب نشاطاته الثورية حتى استقر أخيراً في انجلترا.

وتنصبّ كتاباته بشكل واسع على الفلسفة والاقتصاد والسياسة والتاريخ، ولم يفكر بنفسه كعالم اجتماع، ولكن عمله كان غنياً بالقضايا الاجتماعية حتى وُصف بأنه واحد من أكثر المفكرين بعلم الاجتماع الأساسيين، وقد دعا علماء الاجتماع إلى تغيير المجتمع، ونادى بتأسيس مجتمع بلا طبقات، وأكّد على الصراع الاجتماعي والثورة المحتومة وإلغاء الملكية الفردية وجَعْل الدولة هي المالكة لكل شيء.

([1]) انظر: كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص335-341 و علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام لأحمد إبراهيم خضر ص49-54 و علم الاجتماع ومدارسه لمصطفى الخشاب (293/1-294) و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص42-44 .

([2]) انظر: كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص474-476 و علم الاجتماع ومدارسه لمصطفى الخشاب (268/1-269) و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص39-41 .

([3]) وهو مذهب اقتصادي اجتماعي له أساس اعتقادي فكري قائم على إنكار وجود رب خالق لهذا الكون، ويرى أن المادة هي كل الوجود.

ودعا لنظام تُطلق فيه الحريات الشخصية على أوسع مدى، وتُلغى فيه الأسرة، وتكون العلاقات والممارسات الجنسية مشاعة: فكل الرجال لكل النساء، أما الذرية فهي للدولة الشيوعية، وأما الأخلاق والقيم التقليدية المتعارف عليها بين الناس فتُلغى وتقوم بدلها أخلاق الطاعة للدولة الشيوعية.

له كتابات في علم الاجتماع، وكان يطلق عليه (علم المجتمع)، توفّي عام 1883م[1].

5) ماكس فيبر:

عالم اجتماع ألماني، عاش ما بين عامي (1864م – 1920م)، وُلِدَ لأسرة بروتستانتية، وكان والده محامياً يعمل بالسياسة وأُنتخب عضواً بالبرلمان، وقد أُعِدَّ (ماكس) ليكون عضواً بالكنيسة البروتستانتية.

لم يكن والداه على وفاق في قضايا السياسة والدين؛ بل حتى في العلاقات الشخصية والخاصة، وقد تزوج (ماكس) بإحدى قريباته ولم يستطع ممارسة حياته الخاصة لعجزه عنها.

بدأ في دراسة الاقتصاد وتأثر بأفكار (آدم سميث) و(كارل ماركس)، وعاصر (دوركايم)، وبعد حصوله على الدكتوراه قام بتدريس القانون في جامعة برلين عام 1892م.

كان له تأثير على علم الاجتماع الغربي أكثر من غيره: حيث تناولت بحوثه وتحليلاته في علم الاجتماع حقولاً مختلفة في السياسة والقانون والاقتصاد والموسيقى ومعظم ديانات العالم.

أُعجب بأعمال (ماركس) واستعار عدة قضايا منه ولكن بصورة مختلفة، ويُعتبر من أكبر العلماء الألمان الذين أسهموا في إنشاء علم الاجتماع.

وقد اهتم بدراسة الفعل الإنساني وتحديد مجراه وآثاره، ويُعتبر من الملهِمين الأُوَلْ لنظرية: [الفعل الاجتماعي والتحليل البنائي الوظيفي] التي أخذت الآن طريقها كمدرسة واضحة المعالم في علم الاجتماع، كان يُكِنُّ عداءاً عميقاً وكراهية شديدة للإسلام، وكان عنصرياً، من مؤلفاته: [الاقتصاد والمجتمع]، توفّي عام 1920م [2].

([1]) انظر: كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص463-465 و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص41-42 و النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص143 وما بعدها.

([2]) انظر: علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص21 و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص44-46 و علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام لأحمد إبراهيم خضر ص243-250 و اتجاهات نظرية في علم الاجتماع لعبدالباسط عبدالمعطي ص127-128 .

رابعاً: أهمية علم الاجتماع وعلاقته بالعلوم الأخرى واستمداده:

لعلم الاجتماع أهمية كبرى أُجملها في هذه النقاط:

1- يعتبر من أسمى العلوم قصداً وأنبلها غاية؛ لأنه يدرس الاجتماع الإنساني ونظمه وظواهره للوقوف على طبيعته وكشف القوانين التي يخضع لها.

2- أن الظواهر الاجتماعية تُمثِّل ناحية جديدة في الإنسان تخالف طبيعته النفسية والحيوية، فإن الإنسان بمفرده يتصرف بطريقة معينة- وهذه هي مجالات علم النفس-، كما أنه يتصرف بطريقة أخرى إذا كان في صورة جماعية؛ ولابد لهذه الأحوال من علم يدرسها ويبين أحوالها، وهذا هو مجال علم الاجتماع، بمعنى أنه يُعلِّم الفرد كيف يتعامل مع الأفراد والمجموعات، ويُعلِّم المجتمعات كيف تتعامل مع بعضها البعض.

3- يفيد في فهم الإنسان لحقيقة نفسه وحدود تصرفاته ومداها مع الآخرين، كما أنه يُعرِّفه سلوك الآخرين نحوه.

4- أنه علم يدرس الظواهر الاجتماعية من جميع جوانبها – دينية كانت أم سياسية أم اقتصادية أم فكرية أم تاريخية أم غيرها، فهو لا يقتصر كغيره من العلوم على جانب واحد منها، وذلك لأن الظاهرة الاجتماعية وإن كان لها عدة جوانب إلا أن هذه الجوانب لا تنفصل عن بعضها، بل على العكس من ذلك نجدها على اتصال تؤثر في بعضها وتتأثر بها.

5- تُمكِّن الباحث من فهم المجتمع في صورته الكلية، وذلك ابتداءً من فهم الواقع وتفسيره وتناول مشكلاته وأسباب نشأتها ومن ثم التخطيط لعلاجها.

6- يقوم باكتشاف وتفسير الحقائق الجوهرية للسلوك الاجتماعي، ويبين مدى الارتباط بين هذه الحقائق.

7- يُمكِّن من الوصول إلى مجموعة من القوانين العلمية فيما يتعلق بالمجتمعات البشرية ومعرف المبادئ العامة للحياة الاجتماعية والدعائم التي ترتكز عليها العلاقات التي تربط الحقائق الاجتماعية بعضها ببعض.

8- يُمكِّن من دراسة تطور الظواهر الاجتماعية واختلافها باختلاف الأزمنة والأمكنة وباختلاف الشعوب والأحوال ومعرفة خصائص كل حالة.

9- أن المصلح الاجتماعي لا يستطيع القيام بعمل ناجح مأمون العواقب في ميدان الإصلاح الاجتماعي إلا بعد دراسة المجتمع والوقوف على القوانين والمبادئ الكلية التي تسير وفقاً لها ظواهره ونظمه، كما أنه يُسهِّل رسم الخطط العلاجية والوقائية ويُوفِّر الجهود والوقت والمال في ذلك.

10- يساعد على حل المشكلات الاجتماعية، والإسهام في خدمة المجتمع وتسخير البحث الاجتماعي في خدمة الناس والانتفاع بحقائق هذا العلم في الناحية العملية والاهتداء في ضوءه

إلى ما ينبغي عمله في الحياة للارتقاء بأحوال المجتمعات وحل مشكلاتها وتحسين مستويات الجنس الإنساني بصفة عامة[1].

*** علاقته بالعلوم الأخرى:**

يُعتبر علم الاجتماع من أكثر العلوم اتصالاً وتداخلاً مع غيره من العلوم الأخرى، ومن ثم جعله (كونت) يتربع فوق قمة العلوم من حيث التعقيد؛ إذ لا يمكن دراسة حتى علم الاقتصاد أو علم السياسة دون التطرق له، وذلك لتأثرها به واعتمادها عليه.

ويتفق علم الاجتماع مع سائر العلوم الاجتماعية والطبيعية في استخدام المنهج العلمي للبحث، التي تتلخص في أنها عملية لاكتساب أو تنمية المعرفة بطريقة منظمة تعتمد على تحديد المشكلة وصياغة الفروض أو الأفكار التي تدور حول كيفية حل هذه المشكلة، ثم اختبار هذه الفروض، وأخيراً تحليل النتائج واستخلاص التعميمات.

وتختلف العلوم الاجتماعية عن العلوم الطبيعية في أنها تحاول فهم أفعال الإنسان نفسه ومعرفة النتائج التي تترتب على نشاطاته الفردية والجماعية، بينما العلوم الطبيعية تتعامل مع مجهودات الإنسان في فهم ظواهر الكون.

ومن الاختلافات كذلك: أن العلوم الأخرى إذا كانت تركز في دراستها للظاهرة الاجتماعية على الجانب الذي يهمها، فإن علم الاجتماع لا يمكن أن يركّز على جانب معين لأن ذلك لا يمكن أن يصل به إلى النتيجة المقصودة وإنما يدرسها من جميع الجوانب لأنها لا تنفصل عن بعضها بل هي على اتصال ببعضها تأثراً وتأثيراً[2].

*** استمداده:**

يرتبط علم الاجتماع بطائفة لا حصر لها من البحوث والدراسات العلمية التي تمده وتغذيه بمعلومات تخدم أغراضه وتحقق أهدافه في الحصول على القوانين الاجتماعية، فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بكل فروع المعرف الإنسانية، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

(علم التاريخ): إذ لا بد أن يرجع له لمعرفة الماضي للوقوف على طبيعة الحقائق الاجتماعية وتطورها ومعرفة الوظائف التي كانت النظم الاجتماعية تؤديها، وكذلك يحتاج عالم

([1]) انظر في كل ما سبق: المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص27 و علم الاجتماع لعبدالحميد لطفي ص26-29 و علم الاجتماع لمصطفى فهمي (المقدمة [ط-ي]) و علم الاجتماع ومدارسه لمصطفى الخشاب (2/6-8) و (2/24-28) و قراءات في علم الاجتماع لأحمد كمال ص11 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث، ص34-35 .

([2]) انظر فيما سبق: مبادئ علم الاجتماع لطلعت إبراهيم لطفي ص39-57 و علم الاجتماع لعبدالحميد لطفي ص26-29 و علم الاجتماع ومدارسه لمصطفى الخشاب (2/38-45) و قراءات في علم الاجتماع لأحمد كمال ص7-10 و علم الاجتماع، لمحمد عاطف غيث ص138 وما بعدها و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص32-36 .

الاجتماع إلى معرفة مختلفة فروع التاريخ سواءً تاريخ الآداب أو الفلسفة أو القانون أو النظم أو الفنون، أو العقائد أو الثقافة أو غيرها، وكل هذه تبين تاريخ الأمم وتصوِّر لنا عاداتها وتقاليدها وطقوسها وعباداتها وأخلاقها وسِلْمها وحربها.

(علم الجغرافيا): لأن هذا العلم يدرس البيئة وتضاريسها وظروفها المناخية وما تزخر به من مواد تؤثر في نشاط الأفراد وتوجههم الاقتصادي، وما لذلك كله من آثار ملحوظة على العادات والتقاليد وحركة المجتمع.

(علم الأجناس والإنسان): وهي البحوث التي تتصل بالأجناس في أصولها وفروعها وعوامل اختلاطها وهجراتها وتنقلاتها، وكذلك ما يتعلق بدراسة الإنسان في نشأته ولغته وأساليب تفكيره وأعماله وحِرَفه وتطور عاداته وتقاليده ولغاته وعناصر ثقافته، ولا شك أن لهذه العلوم أثرها البالغ في علم الاجتماع.

(علم النفس): فهو يدرس السلوك الفردي من حيث قدرات الفرد واستعداداته وشعوره وتفكيره ومظاهر سلوكه ودوافع انفعالاته، وأما علم الاجتماع فيدرس العلاقات الاجتماعية بين الفرد والمجتمع، فالفرد ليس له وجود إلا في وسط جمعي، وكل ذلك مؤثر في بعضه البعض.

(علم السياسة): فالنظم السياسية وأشكالها وما يتفرع عنها من قوانين أو أنظمة إدارية أو تشريعية كلها مؤثرة في علم الاجتماع، وكذلك ما يترتب على السياسة من سلم أو حرب أو اضطرابات فكلها مؤثرة في المجتمع.

(علم الاقتصاد): فهو يدرس الثروة في طبيعتها وإنتاجها وتداولها وتوزيعها واستهلاكها والأيدي العاملة والمنتجات وما لذلك كله من آثار في المجتمع.

(علم الأخلاق): ويُقصد به الأخلاق الاجتماعية التي تدرس الظواهر الخُلُقية في المجتمع دراسة وصفية تحليلية في ضوء المنهج الاجتماعي، مثل: معرفة طبائع الشعوب وأخلاق الطبقات المختلفة ومعايير الخير والشر ومستويات الجمال والآداب العامة والأذواق والعادات والأعراف والتقاليد.

(العلوم الطبيعية): إذ لا شك أن التقدم العلمي في هذه العلوم له أثره الكبير على حياة المجتمعات وخصائصها وتغيرها وعلاقاتها ببعض. وغيرها من العلوم كعلم الأديان والإحصاء والفنون والثقافة وغيرها[1].

(1) انظر: مفاهيم علم الاجتماع للسيد الحسيني ص11 .

خامساً: موضوعات علم الاجتماع ومجالاته وطبيعته:

* أما موضوعات علم الاجتماع فمن الصعب الوصول إلى تحديد قاطع لها، ومن أسباب ذلك أن علماء الاجتماع أنفسهم لم يتوصلوا بعد إلى نظرية اجتماعية تلقى قبولاً عاماً، ولذلك نجد علماء الاجتماع المعاصرين يُبدون اهتماماً خاصاً بموضوعات مختلفة، كلٌ حسب رأيه وقناعته[1]؛ لذا كثرت تعبيراتهم عن موضوع علم الاجتماع:

فهو عند بعضهم: علم يدرس الظواهر الاجتماعية وأحوال المجتمعات المتعلقة بسلوك الجماعة.

وعند آخرين: هو علم يتحدث عن أنماط السلوك البشري والنظم والعلاقات الاجتماعية وطرق تفكير الناس.

وقيل: هو علم يدرس علاقة الإنسان بالآخرين ويسعى لاكتشاف الظواهر الاجتماعية ويتتبع تطوراتها ويسعى لتقديم تفسيرات منطقية لها.

وقيل: هو علم يدرس التفاعلات والعمليات الاجتماعية والثقافة السائدة والتغير البنائي كما يتناول الناحية البنائية لتركيب المجتمعات والناحية الوظيفية لكل جزء من الأجزاء، أي أنه يُعنى بدراسة وتحليل العلاقات والظواهر الاجتماعية التي توجد بين الأفراد والجماعات التي ينتمون إليها، كما يتناول دراسة هذه المجتمعات وتركيبها وخصائصها من جهة وتطورها ووظائفها الاجتماعية من جهة أخرى[2].

وقيل: هو علم يدرس المجتمع في بنيته ونظمه وظواهره دراسة علمية وصفية تحليلية، الغرض منها الوصول إلى القوانين التي تحكمه، أي أنه يدرس حياة الأفراد في حالة الاجتماع والعلاقات التي تنشأ بينهم والنظم والقواعد المنظمة لعلاقاتهم، ويدخل في هذه الدراسة: الوقوف على التراث الاجتماعي وعناصره والمعتقدات والفنون ومظاهر الحضارة ومعايير الأخلاق وأساليب العمل والتقسيم الطبقي ومظاهر التخلف والتغير والتقدم والتنظيم الاجتماعي والمقومات العامة للحياة الاجتماعية[3].

ويمكن استخلاص موضوعات علم الاجتماع من كلام العلماء وحصرها فيما يلي:

[دراسة المجتمع/ النظم الاجتماعية ابتداءاً من الأسرة وانتهاءاً بالدولة/ العلاقات الاجتماعية/ دراسة الجماعات/ الثقافة/ التغير الاجتماعي/ التفاعلات الإنسانية والاجتماعية/ السلوك الاجتماعي/ العلاقات المتبادلة بين النظم الاجتماعية/ البناء الاجتماعي/ العمليات

(1) انظر: المصدر السابق.
(2) انظر: قراءات في علم الاجتماع لأحمد كمال ص5 .
(3) انظر: علم الاجتماع ومدارسه لمصطفى الخشاب (2/16-17) و(2/29) .

الاجتماعية/ الشخصية/ الظواهر الاجتماعية/ العلاقات الإنسانية/ المشاكل الاجتماعية/ النسق الاجتماعي/ التنظيمات/ ....] وغيرها[1].

* وأما مجالات علم الاجتماعي وميادينه: فكثيرة جداً، وفي تنامٍ مستمر وذلك للحاجة إليها في الواقع وتسخيرها عملياً في خدمة الإنسان والإنسانية في شتى العلوم وحل مشكلاتها والرقي بها، وتنقسم إلى قسمين:

أ) علم الاجتماع العام: وهو الذي يدرس الخصائص المشتركة بين الظواهر الاجتماعية. وهذه لها فرعان:

1- علم الاجتماع البنائي العام: وهو الذي يدرس بناء وتكوين الظواهر الاجتماعية.

2- علم الاجتماع الدينامي العام: وهو الذي يدرس العمليات الاجتماعية المتكررة مثل: التفاعل والتنشئة الاجتماعية والتوافق الاجتماعي.

ب) علم الاجتماع الخاص: وهو الذي يتناول دراسة مجموعة خاصة من الظواهر الاجتماعية التي تم اختيارها لإجراء دراسة مركزة عليها، وأمثلة هذا النوع كثيرة، ومنها:

علم الاجتماع البدوي والريفي والحضري والديني والتربوي والأدبي واللغوي والاقتصادي والسياسي والتاريخي والتفسيري والصناعي والطبي والترفيهي والرياضي.

وكذلك علم الاجتماع النظري وعلم الاجتماع التطبيقي.

وأيضاً: علم اجتماع التربية وعلم اجتماع العلم وعلم اجتماع المعرفة وعلم اجتماع الجريمة وعلم اجتماع الأسرة ودراسات السكان وعلم اجتماع القانون وغيرها[2][3].

([1]) انظر: مبادئ علم الاجتماع لطلعت إبراهيم لطفي ص8-11 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص121-138 و علم الاجتماع لعبدالحميد لطفي ص21-25 و علم الاجتماع لمصطفى فهمي ص70 وما بعدها و قراءات في علم الاجتماع لأحمد كمال ص5 و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص22-24 و مفاهيم علم الاجتماع للسيد الحسيني ص9-12 .

([2]) انظر: مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص21-34 و مبادئ علم الاجتماع لطلعت إبراهيم لطفي ص19-21.

([3]) يذكر بعض علماء الاجتماع (مدارس علم الاجتماع)، وهي عبارة عن اتجاهات نظرية ومنهجية متنوعة في تناول قضايا علم الاجتماع، ومنها:

1- المدرسة البنائية: وهذه تهتم بدراسة الجوانب المتصلة بالتجمعات السكانية والبشرية وعلاقتها بالمكان.

2- مدرسة علم الاجتماع الصوري: والتي تهتم أكثر بدراسة الأشكال أو الصور المجتمعية وعلى الأخص المتصلة بالتفاعل والعلاقات الاجتماعية وهذه أسسها (جورج زيمل).

3- المدرسة التاريخية التفسيرية: والتي تهتم بدراسة الوحدات الاجتماعية الكبرى عبر فترة زمنية طويلة بهدف تحديد ملامح التاريخ الإنساني وتحليل الأفكار بوصفها تعبيراً عن أحداث وحقب تاريخية بعينها، ومن أبرز ممثلي هذه المدرسة (ماكس فيبر).

* وأما طبيعة علم الاجتماع: فإنه يتسم بأمور عدة تميّزه وأخرى تعيبه، وقد تقدم ذكر مزاياه وأهميته، وأذكر هنا بعض الصعوبات التي يواجهها الدارس في هذا العلم:

1- أنه علم يحتاج لتعاقب السنين وتطاول الزمن لحل مشكلاته.

2- دُنُوّ مادته من الغموض والتعقيد وبُعدها عن البساطة.

3- صعوبة التحكم في العوامل المؤثرة في البحوث الاجتماعية مقارنة بغيرها، وذلك لأن الإنسان كائن يصعب التحكم في العوامل والاتجاهات التي تؤثر فيه وفي تصرفاته المختلفة عند إجراء البحوث الخاصة عليه لدراسة سلوكه وعلاقاته، بينما يسهل على الباحث في العلوم الطبيعية أن يتحكم في الظروف المحيطة بها.

4- صعوبة التنبؤ بالنتائج المترتبة عليه بدقة كبيرة، وهذا مترتب على ما سبق من صعوبة التحكم في العوامل المؤثرة في البحث الاجتماعي، وإنما يستطيع الباحث أن يتنبأ باتجاهات عامة للسلوك بدرجة احتمال معينة.

5- عدم وجود نظريات ثابتة وموحدة في علم الاجتماع، وإنما يتفاجأ الباحث من البداية بحشد هائل من الآراء لا المختلفة بل والمتضاربة أيضاً، ويكفيك أن تعلم أن في أمريكا فقط خمسة آلاف عالم اجتماع، ولكل واحد منهم علم الاجتماع الخاص به، كما أن علم الاجتماع في أمريكا يختلف عنه في روسيا أو أوروبا أو الصين وهكذا.

6- أن أغلب النظريات الأساسية في علم الاجتماع تضم داخلياً اتجاهات مختلفة بعضها قد يكون قديماً والبعض الآخر قد يكون حديثاً وترتبط كل من هذه الاتجاهات باسم عالم من العلماء أو أكثر، كل هذا مع اختلاف المفهومات والمصطلحات التي تشير إلى شيء واحد أو تشابهها مع إشارتها لأشياء مختلفة.

7- اختلاف تصنيف النظريات الاجتماعية وتسمياتها إذ لا يوجد أساس واحد لتصنيف هذه النظريات أو حتى لإطلاق مسمياتها عليها، واعتماد ذلك على الإطار النظري الذي يتبعه القائم بالتصنيف.

8- اختلاف أسس تقييم النظريات الاجتماعية: فكل اتجاه نظري يضع أساساً لتقييم النظرية الاجتماعية ينبع من المسلّمات الأساسية التي يعتمد عليها ويختلف بالطبع عن أسس تقييم النظرية المستمدة من غيره من الاتجاهات.

- ولعل بعض هذه الصعوبات راجع إلى حداثة هذا العلم، وأن هذه الاختلافات مرحلية، وأنه مع تطور علم الاجتماع ونضجه سيتوفر لهذا العلم الأسس والنظريات الأساسية كبقية العلوم التي مرّت بهذه المرحلة قبل أن تصل لمرحلة النضج والاستقرار.

انظر فيما سبق: مفاهيم علم الاجتماع للسيد الحسيني ص10 .

كما أن بعض هذه الاختلافات والتعددية سمة لازمة لعلم الاجتماع؛ وذلك راجع لطبيعة الظواهر الاجتماعية المعقدة والمتأثرة بعوامل أخرى كثيرة سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية، وكذلك يرجع هذا الاختلاف لتعدد الموضوعات التي يدرسها علم الاجتماع فيحتاج كل موضوع لمنظور يختلف عن ذلك الذي يحتاج إليه غيره.

وكل هذه الصعوبات لا يجب بحال أن تعوق المتخصص في علم الاجتماع عن فهم طبيعة وأنماط الظواهر الإنسانية والنظريات الاجتماعية مهما كانت ما دام أنه يرغب حقاً في فهم أي من الظواهر الاجتماعية التي يتخصص في دراستها أو فهم المجتمع الذي يعيش فيه بوجه عام(1).

****

المبحث الثاني: نقد النظريات الاجتماعية:

أولاً: أبرز النظريات الاجتماعية ونقدها:

وهذه النظريات كثيرة جداً؛ وذلك لكثرة علماء الاجتماع، فكل عالم يتبنى نظرية ويلتف حوله طلاب ويُكوِّن له مدرسة، وهي في تزايد مستمر، وإن كان أكثرها يرجع إلى اتجاهات نظرية معينة.

وبعض هذه النظريات اندثر وبعضها موجود، ومنها ما هو ذا قيمة وتأثير في الواقع ومنها ما هو أقل من ذلك(2).

---

(1) انظر فيما سبق: النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص5-10 وقراءات في علم الاجتماع لأحمد كمال ص10 وعلم الاجتماع لمصطفى فهمي (المقدمة).

(2) وهي نظريات كثيرة جداً منها:

1- النظرية العضوية (هربرت سبنسر). انظر: مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص44-45 و ص65-66 و كواشف وزيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص475-477 و النظرية في علم الاجتماع لعبدالله محمد عبدالرحمن ص167-200 و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص306-308 و ص312 .

2- نظرية الفعل الاجتماعي (ماكس فيبر). انظر: علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص21-23 و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص44-47 و ص53-55 و ص58 و النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص109-123 و النظرية في علم الاجتماع لعبدالله محمد عبدالرحمن ص253-297 .

3- نظرية الصفوة أو التوازن الاجتماعي (فلفريدو باريتو). انظر: علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص33-58 و النظرية في علم الاجتماع لعبدالله محمد عبدالرحمن ص331-372 و النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص125-141 .

وسنركز هنا على أبرز هذه النظريات وأهمها وما كان له وجود وتأثير قوي في عالم اليوم:

1) النظرية الوضعية[1]:

قيل: هي دراسة المجتمع دراسة كلية باستخدام المنهج الوضعي المعتمد على الملاحظة والتجربة والمقارنة والمنهج التاريخي.

وقيل: هي استخدام الطريقة العلمية وتطبيقاتها على الفلسفة.

وقيل: هي اتجاه فكري يبني تفسير العالم على معطيات التجربة وحدها[2].

ولفظ [الوضعية] يعني: الإيجابية أو اتخاذ موقف إيجابي مما هو قائم في المجتمع وليس موقفاً نقدياً أو سلبياً أو رفضاً لهذه الأوضاع القائمة كما يفعل المفكرون النقديون[3].

- أما عن تأسيس هذه النظرية فلقد تولى كِبْر إظهارها والتنظير لها الفيلسوف الفرنسي (أوجست كونت)، وإن كان بعض الكُتَّاب يُرجِعون جذور هذه النظرية إلى فلاسفة اليونان كأمثال: (ديمقريطس) وإلى السوفسطائيين الذين رفضوا البحث الميتافيزيقي وأقاموا كل

4- النظرية التحليلية (الأمبيريقية). انظر: علم الاجتماع لعبد الباسط محمد حسن ص42-59 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص91-92 و علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام لأحمد إبراهيم خضر ص139-140 .
5- النظرية البنائية الوظيفية. انظر: النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص187-212 و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص51-53 و ص58 و ص308-310 و ص312 .
6- نظرية العقد الاجتماعي (جان جاك رسو). انظر: مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص63-64 .
7- نظرية السلوكية الاجتماعية (الاتجاه السيكولوجي). انظر: النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص231-244 .
8- نظرية منهج دراسة الحالة (لبلاي). انظر: علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث، ص20-21 .
9- نظرية التفاعل الاجتماعي (جورج سيمل). انظر: النظرية في علم الاجتماع لعبدالله محمد عبدالرحمن ص301-327 .
10- النظرية النقدية التقليدية (مدرسة فرانكفورت). انظر: النظرية في علم الاجتماع لعبدالله محمد عبدالرحمن ص423-467 .
11- النظرية الأنثروبولوجية. انظر: مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص64-65. وغيرها من النظريات.

(1) انظر: النظرية في علم الاجتماع لعبدالله محمد عبدالرحمن ص119-161 .
(2) انظر على التوالي: مفاهيم علم الاجتماع للسيد الحسيني ص17 و النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ، ص79-80 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص63 .
(3) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص80 .

دراساتهم على التجربة، ثم جاء أمثال (سبنسر) و (ليستر وورود) وشاركوا في هذا الاتجاه الوضعي[1].

- أما أسباب نشأة هذا الاتجاه:

فقيل: نشأ كردّ فعل للفلسفة التقليدية ومحاولة النفاذ في تعقيدها واختلافاتها وذلك لإقامة التفكير على أساس محدد[2].

وقيل: نشأ لشيوع مظاهر الفوضى الاجتماعية والأخلاقية، والتي مردّها إلى الفوضى العقلية الناتجة عن استمرار سيادة الاتجاهات الدينية والفلسفية، وأن الحل يكمن في أمرين: أولهما: ترك هذه الاتجاهات الدينية والانتقال إلى مرحلة الفكر الوضعي. ثانيهما: مواجهة مشاكل المجتمع من خلال العلم، وذلك بمعالجة الفوضى العقلية بتغيير مناهج التفكير وذلك لتتوحد الرؤى العقلية، وبالتالي تتفق على طريقة واحدة مناسبة لعلاج المشكلات الاجتماعية[3].

وقيل: نشأ للقضاء على الفوضى الاجتماعية التي كانت في أوروبا آنذاك وأن هذا المنهج هو السلاح القادر على محاربة القوة الفوضوية وامتصاص النظرية الثورية الشائعة والسيطرة على القوى الاجتماعية في المجتمع[4].

- أما أفكار هذه النظرية فيمكن تلخيص أبرزها في النقاط التالية[5]:

* الاعتماد على المادة وحدها في معالجة الحقائق وتحليلها.

* أن علم الاجتماع يعتمد على مناهج ثلاث مباشرة هي: الملاحظة والتجربة والمقارنة - حاله كحال العلوم الطبيعية - ويبني تفسيره للعالم على معطيات التجربة وحدها.

* لا تؤمن إلا بما أثبتته العلوم التجريبية وتستلهم نقطة انطلاقها من العلوم الطبيعية التي أثبتت في عالم اليوم أنها أنجح طريقة لمعالجة مادة التجربة.

* الاعتماد على الواقع في توصيف الظواهر الاجتماعية، حتى أن (كونت) عرّف علم الاجتماع بأنه: [الدراسة الواقعية المنظِّمة للظواهر الاجتماعية].

* أن الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الُمدْرَكة بالحس، وينكرون ما عدا ذلك[6].

([1]) انظر: علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص63-65 .
([2]) انظر: المصدر السابق ص63.
([3]) انظر: المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع، لنبيل السمالوطي ص101 .
([4]) انظر: النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص80 و ص82-83 .
([5]) ذكر (كونت) أغلب أفكاره وفلسفته في كتابيه: [دروس في الفلسفة الوضعية] و [مذهب في السياسة الوضعية]. انظر: المصدر السابق ص82 .
([6]) انظر فيما سق: علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص14-15 و ص63 و ص65 و كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص407 .

* أن العلم هو الوسيلة المناسبة لدراسة الظواهر الاجتماعية واستخدام المنهج العلمي في البحث عن الجماعة والمجتمع، والابتعاد عن الوصف والخرافة والتفسير المبني على قوى وعوامل خفية.

* من خلال العلم والعقل فقط يمكن لعالم الاجتماع أن يرى ويفهم الظواهر فهماً صحيحاً، وبالتالي يستطيع التنبؤ للمستقبل ويعطي تفسيرات واقعية ومقنعة[1].

* اتخاذ موقف إيجابي مما هو قائم في المجتمع وقبوله والتعايش معه والمحافظة عليه واعتباره أفضل الموجود واستبعاد أي محاولة لنقده أو إصلاحه أو رفضه أو تغييره[2].

* أن التفكير الاجتماعي يمر عادة بثلاث مراحل هي:

أ) - مرحلة اللاهوت: وهنا يتم تفسير الظواهر الاجتماعية وغيرها من خلال تأثير قوى خفية غير ملموسة.

ب) - مرحلة الميتافيزيقيا (ما وراء الطبيعية): وفيها يؤمن الإنسان بعلل ذاتية يتوهمها في باطن الأشياء الطبيعية، وهي أفكار مجردة غير قابلة للنقاش.

ج)- مرحلة الوضعية أو الواقعية: وهنا يتم تفسير الظواهر من خلال العقل والبحث العلمي.

وهو يرى أن هذه المراحل الثلاث تتعاقب في كل إنسان: ففي طفولته يقتنع بالتغيرات اللاهوتية، وفي شبابه يحاول اكتشاف العلل الذاتية في الأشياء، وفي سن النضج يميل إلى الواقعية[3].

* ينقسم علم الاجتماع إلى قسمين:

أ) - [لاستاتيكا]:ويهتم بدراسة شروط وجود المجتمع من خلال الكشف عن النظام الذي يحكم الحياة الاجتماعية ويُسمى (التوازن أو الاستقرار الاجتماعي) وأحياناً يُسمى (البناء أو النظام الاجتماعي).

ب)- [ديناميكا]: يهتم بدراسة حركة المجتمع من خلال الكشف عن حقيقة التقدم، ويُسمى (التطور أو التغير الاجتماعي)[4].

---

(1) مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص43 .

(2) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص80-81 و ص86 .

(3) انظر: مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص44 و كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص408-414 و مفاهيم علم الاجتماع للسيد الحسيني ص17 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص14 و النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص85-86 .

(4) انظر: مفاهيم علم الاجتماع للسيد الحسيني ص17-18 وعلم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص15 والنظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص87-88.

* تقوم هذه النظرية على تصوُّر الطبيعية العضوية للمجتمع ونموه المستمر، فالكائن الاجتماعي مثله مثل الفرد يتكون من عناصر متمايزة ومتساندة وتعمل معاً لهدف مشترك، ولكنها ليست مثل الكائن البيولوجي ثابتة لا تتغير؛ بل إنها تتعرض لعدد كبير من التغيرات[1].

* أن للظاهرات الاجتماعية قوانين ثابتة تحكمها تماماً مثلما تحكم الظاهرات الطبيعية والبيولوجية[2].

* توصل (كونت) بعد رحلته الفلسفية إلى دين سمّاه: [الإنسانية]، ودعا إلى عبادته، وأنه هو المقابل الوحيد الممكن لمعنى [الله] ولمعنى [الطبيعة][3].

- تطور هذه النظرية:

ظهرت (الوضعية) في ثوبها الجديد إثر تناقص الاهتمام المتعلق بالتطور، وتُسمى هذه الوضعية باسم (الوضعية المُحْدَثة)، وتقوم على ثلاثة عناصر:

أ)- الكمية: وتقوم على اعتبار العد والقياس كمنهج في الدراسة ضروري في الاستقصاء العلمي في أي ميدان. ومن أبرز رموزه: (كتيليه) و(كارل بيرسون).

ب)- السلوكية: وتتلخص في أن الشعور لا يمكن معرفته موضوعياً وأن الاستبطان لا يمكن أن يكون مصدراً للمعرفة، ولذلك فإن علم النفس- وبالتالي علم الاجتماع – يجب أن يدرس السلوك الممكن ملاحظته دون غيره. ومن أبرز من تكلم عنها:(بيرسون) و(جون واطسون) و (إيفان بافلوف).

ج) المعرفة الوضعية: وتقوم على أن المعرفة يجب أن تكون نتيجة للانطباعات الحسية وما يترتب عليها، وحقيقة الشيء تتوقف على إمكان حدوثه كلياً أو جزئياً، وإذا استطعنا أن نقيم نظاماً على أساس هذه الانطباعات أمكننا أن نسن قانوناً، ومن أبرز من تكلم عنها: (وليام جيمس) و (جون ديوي) و (برتراندرسل)[4].

- ولقد وُجِّهت لهذه النظرية انتقادات عديدة من أهمها:

* أن (كونت) قد بهره العلم القائم على الملاحظة والتجربة فحصر فيه كل الحقيقة، وانتهى بفلسفته التي سمّاها: [واقعية] إلى ما انتهت إليه الفلسفة المادية البحتة، وأن هذا الانبهار قد كان سمة كثير من مثقفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر في الغرب، ولكن هذا الانبهار بدأ يتناقص ويأخذ طريقه إلى التلاشي بعد أن تقدمت المعرفة واضطر العلم التجريبي أن يثبت تعليلات وتفسيرات وأسباباً غير مدروسة بالتجربة ولا بالملاحظة.

---

(1) علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص13-14 .
(2) انظر: النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص81 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص63 .
(3) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص414-415 .
(4) علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص66-67 .

* أَبْعَدَ (كونت) عن تصوره قضية الإيمان بالرب الخالق لأنه من الغيبيات التي لا تثبتها العلوم التجريبية المادية، ورفض النظر إلى الأدلة العقلية البرهانية ورفض تصديق الأخبار الدينية التي جاء بها الرسل المؤيدون بالمعجزات.

* ادعى الحالات الثلاث التي زعم أن العقل البشري مرّ بها، دون أن يقدّم لهذا الادعاء دليلاً من عقل أو تجربة عملية أو ملاحظة، واكتفى بأن يستند إلى الوهم والخيال.

* تجاهله أن الدين من عند الله جل وعلا وإنكاره له مع وجود الأدلة عليه شرعاً وعقلاً وفطرة وواقعاً، ثم هو مع ذلك يخترع ديناً جديداً من عنده سمّاه: [دين الإنسانية]، وهو دين خرافي ترفضه واقعية المجتمع البشري ولا تتقبله بشهادة الواقع في دول العالم الغربي الذي أُعجب بفلسفته(1).

* إهماله لكل ما لا يتعلق بالحسّ، مع أن في الواقع أموراً غير محسوسة، والعالم كله يؤمن بها كالمشاعر والمبادئ وكذلك كالجاذبية وغيرها.

* اكتفاؤه بتفسير الحوادث للتعايش معها وليس لإصلاح الأوضاع والرقي بالمجتمعات، وفكرته هذه تؤكد عجز الإنسان عن تغيير عالمه الاجتماعي، وذلك بسبب سلب ملكة النقد عنده وجعله أسير الواقع الذي يعيشه وإصراره على حرمان الإنسان من إعمال عقله وتصور واقع آخر مستقبلي يقيس عليه واقعه الحاضر(2).

* تحول تاريخ البشرية جمعاء عند [كونت] إلى تاريخ أفكار ومشاعر، ثم أصيب هذا التاريخ بالجمود والتوقف عند القرن التاسع عشر ولم يعد أمام الإنسانية هدف تصبو إليه إلا المحافظة على ما وصلت إليه والتحسين منه، فليس في الإمكان أبدع مما كان(3).

* إهمالهم كل بحث في العلل والغايات وكل تفكير في الأسباب التي نتجت عن مسبِّباتها المدركة بالحسّ مباشرة أو عن طريق العلوم التجريبية، وتعليق كل ثقتهم وإيمانهم بنتائج العلوم الطبيعية الحديثة(4).

* إيهام الناس بأن هناك قوانين ثابتة تحكم الظواهر الاجتماعية تماماً كالعلوم الطبيعية، وهذا باطل لأنه لولا تغير الظواهر الاجتماعية لما كان لنا حاجة لأي قوانين،كما أن هناك فرقاً كبيراً بين العلوم الطبيعية التي يمكن التحكم فيها زماناً ومكاناً وصفة وبين العلوم الاجتماعية التي تتأثر بأحوال الأشخاص ومشاعرهم وآراءهم وظروفهم(5).

(1) انظر في كل ما سبق: كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص422-427 .
(2) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص81 .
(3) المصدر السابق ص86 .
(4) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص408 .
(5) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص82 .

2) نظرية العقل الجمعي[1]:

ويُسمى [الضمير الجمعي] أو [الشعور الجمعي][2].

ومعناها: مجموعة المعتقدات والمشاعر العامة التي يعتنقها جمهرة أعضاء المجتمع، وتُكِّون نسقاً قائماً بذاته.

أو بعبارة أخرى: أن الكائن البشري محكوم بنزعة القطيع التي تحكم عالم الحيوان وتسِّيره دون وعي منه أو إرادة[3].

والمعنى: أن العقل المشترك للمجتمع هو الموجِّه لكل فرد فيه، وهو المكوِّن لأفكار الأفراد ومذاهبهم وعاداتهم ومفاهيمهم، وذلك عن طريق إلزام المجتمع للفرد بما يحيطه به من قوة اجتماعية ضاغطة[4].

أما عن نشأة هذه النظرية فلقد كان (دوركايم) شأنه شأن غيره من علماء الاجتماع الوضعيين قد بدأ في الواقع بالتسليم بمشروعية النظام الاجتماعي الاقتصادي القائم في مجتمعه، ورأى أنه هو الأنسب والأصلح للبشرية، ولكي تكتسب هذه الفكرة قوة في الإقناع: صاغ حولها نظريات بالغة التعقيد استخدم فيها كثيرا ًمن المفهومات وأضفى عليها صفة العلمية، ليس هذا فحسب بل إنه أقام حولها عِلْمَاً بأسره[5].

إن أهداف دوركايم) الأساسية من تقديم لهذه النظرية هو أن يجعل علم الاجتماع بديلاً للاشتراكية، أي أن يجعل علم الاجتماع هو المرشد للسياسة ورجال الصناعة في توجيه المجتمع لتحقيق الاستقرار الاجتماعي وللحيلولة دون حدوث أي اضطرابات في النظام الاجتماعي القائم أي النظام الرأسمالي[6].

وينبغي ألا نغفل دور اليهود في دفع (دوركايم) لإيجاد أفكار في مجال تخصصه - وهو علم الاجتماع – من شأنها تنفيذ المخطط اليهودي العام الرامي إلى هدم أسس الدين والأخلاق في مختلف الأمم والشعوب.

([1]) انظر: النظرية في علم الاجتماع لعبدالله محمد عبدالرحمن ص205-248 .

([2]) علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص25 و ص28 .

([3]) المصدر السابق ص28. وانظر أيضاً: ص25 و مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص115 .

([4]) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص336 ، وانظر أيضاً: ص337 .

([5]) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص96. وانظر: ص95 .

([6]) المصدر السابق ص105. وانظر أيضاً: ص93-94 و كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص336-337.

وبوسائل مختلفة ومتعددة وكثيرة دعمت الدعاية وأجهزة الإعلام اليهودية رجُلها الموجَّه (دوركايم) ورفعته لمرتبة غير عادية، حتى صار عند المؤرخين رائد علم الاجتماع بعد (كونت)، وأمسى رئيس المدرسة الاجتماعية الفرنسية[1].

وأما عن أفكار هذه النظرية فلقد أودع أغلبها في مؤلفاته الأربعة الرئيسية:[تقسيم العمل الاجتماعي، الانتحار، قواعد المنهج في علم الاجتماع، الصور الأولية للحياة الدينية][2].

• أهم هذه أفكار هذه النظرية:

* التأثّر بالاتجاه الوضعي الذي كان سائداً في عصره والذي كان ينادي بضرورة تطبيق المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية مثلما يُطبق في العلوم الطبيعية وضرورة تناول الحقائق الاجتماعية كأشياء[3].

* أن المجتمع هو السلطة الأخلاقية العليا التي تفرض على الناس القواعد والقيم والواجبات[4].

* أن القيم ليست تصورات عقلية قبْلية، ولكنها تأليف من الأفكار والمبادئ الجمعية، فالمجتمع هو الذي يحدد القيم ويصف المبادئ، فهي غير ثابتة ولا مستقرة[5].

* أن عناصر التفكير وأسس المعرفة العقلية نفسها ما هي إلا صُور ولّدتها حياة الجماعة وطبعتها على غرار النظم الاجتماعية[6].

* أن للفرد شعورين: أحدهما يتقاسمه مع الجماعة – أي أن المجتمع يعيش داخل الفرد- والآخر: خاص بالفرد نفسه، ولكن الشعور الأول في المجتمع- المتضامن آلياً- هو صاحب النفوذ الأكبر[7].

* تهدف هذه النظرية لإلغاء شخصية الفرد إلغاءً كاملاً وتلغي إرادته لتجعله يتقبل ما يُلقيه إليه العقل الجمعي من أوامر وتوجيهات وتُلزمه بتقليد الجماعة والذوبان فيها دون وعي أو إرادة[1].

(1) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص336 .
(2) انظر:النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص96 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص24 و كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص335-336 .
(3) انظر: المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع لنبيل السمالوطي ص108 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص24 و النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص96 .
(4) انظر: المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع لنبيل السمالوطي ص114 و كواشف زيوف لعبدالرحمن لعبدالرحمن حسن حبنكة ص336 .
(5) المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع لنبيل السمالوطي ص115 .
(6) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص338 .
(7) علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص28 .

* أن هدف المجتمع الذي يجب أن يتحقق هو الوصول إلى حالة الإجماع، وأن كل مظاهر الاضطراب أو التفكك أو المشاكل الاجتماعية مرجعها ليس العوامل أو الظروف الاقتصادية أو الاجتماعية ولكن انعدام الإجماع، أي أن حل كل أزمات النظام الرأسمالي إنما تتمثل في تحقيق الإجماع على القيم بين جميع المواطنين[2].

* عرّف [الظاهرة الاجتماعية] بأنها: كل تصرف يُمارس إجبارياً على الفرد ويتصف بالعمومية في الانتشار لأنه يعكس أخلاقيات الجماعة بما يحفظ النظام والاستقرار الاجتماعي في الجماعة، ومثال ذلك: الكرم عند العرب[3].

* الأساس الذي بنى عليه (دوركايم) هذه النظرية هو: أن هناك حالتان للإنسان يفقد فيهما الوعي والإرادة وهما:

الحالة الأولى: [حالة الطفولة]: وذلك أن الطفل يولد بغير إرادة، فيقوم والداه والمجتمع من حوله بتوجيهه وصقل شخصيته، فتُصاغ أفكاره ورغباته وتصرفاته من غير إرادة منه ولا رغبة، وهكذا تخرج الأجيال جيلاً بعد جيل.

الحالة الثانية: [حالة الغوغاء]: ومثالها: ما يحدث من الناس أثناء الثورات والمظاهرات من أعمال التخريب والإتلاف للأنفس والممتلكات، مع أنهم كأفراد لم يكونوا يقومون بهذه الأعمال من قبل، لكنهم في وسط الجموع تصرفوا بوحشية بالغة[4].

* أن الدين لا يصدر إلا عن العقل الجمعي ولا يتحقق إلا داخل المجتمع الذي يستمد منه كلّيته وضرورته، وأن الدين ما هو إلا الارتباط والولاء للمجتمع[5].

* الاعتراض على التفسيرات الغيبية للدين والإله والنفس والخلود، وأن ذلك تجاوز لنطاق المجتمع الإنساني، وتفسير أي ظاهرة اجتماعية تفسيراً مادياً لا يعترف بالله ولا بأية قوة غيبية أو موجودات وراء العالم المادي[6].

* يرى (دوركايم) أن [استراليا] أخصب مكان لدراسة مسألة نشأة الدين والأخلاق؛ لأن سكانها أقل تطوراً وأقرب إلى الطبيعة الأولى من غيرهم، ولذلك استمد منها الوقائع التي بنى عليها أفكاره في هذه المسألة، وانتهى إلى أن الناس هناك لم يكونوا يعبدون الأنصاب ولا ما ترمز إليه هذه الأنصاب التي اتخذوها، وإنما كان الذي يوجههم هو اجتماعهم، فإن من طبيعة الاجتماع أن تنسلخ فيه النفوس عن مشخّصاتها الفردية وتمنحي كلها في شخصية واحدة هي

([1]) مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص115 .
([2]) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص96. وانظر أيضاً: ص95 و ص104 .
([3]) مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص48. وانظر أيضاً: المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع لنبيل السمالوطي ص108 .
([4]) انظر: مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص115-116 .
([5]) المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع لنبيل السمالوطي ص114-115 .
([6]) انظر: المصدر السابق ص114 و كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص337 .

شخصية الجماعة، وهكذا يكون الاجتماع هو مبدأ التدين وغايته، وتكون الجماعة إنما تعبد نفسها من حيث لا تشعر [1].

* يرى (دوركايم) أن وحدة التحليل الاجتماعي هي [الوقائع الاجتماعية] والتي عرّفها بقوله:[الواقعة الاجتماعية هي كل وسيلة أو كل أسلوب للتصرف، تُمارِس فرضاً أو إجباراً خارجياً على الفرد، أو كل وسيلة للتصرف تتصف بالعمومية في مجتمع ما ولكنها توجد في نفس الوقت مستقلة بذاتها].

وهذه الوقائع غير قابلة للملاحظة المباشرة، وبالتالي لابد من دراستها بشكل غير مباشر عن طريق الملاحظة لآثارها، وعليه فإن الوقائع الاجتماعية تتصف بصفتين أساسيتين: أنها خارجة عن الفرد وأنها ملزمة له أو ذات تأثير محدد لسلوكه، فالوقائع الاجتماعية عند (دوركايم) هي انعكاسات أو تعبيرات عن أخلاقيات الجماعة[2].

فهذه الوقائع أو الحقائق الاجتماعية تتصف بأنها: تلقائية وجبرية وعمومية وخارجية[3].

* يرى أنه يجب على علم الاجتماع أن يهتم بالوقائع القابلة للملاحظة، وأن يستخلص قضاياه العامة منها[4].

* التفسير المادي لأي ظاهرة اجتماعية، وعدم الاعتراف بأي قوة غيبية وراء هذا العالم المادي[5].

- وقد وُجهت لهذه النظرية انتقادات كثيرة، لعل من أهمها:

* عدم اعترافه بالغيب، والإصرار على تفسير أي ظاهرة اجتماعية تفسيراً مادياً قائماً على إنكار الخالق جل وعلا وعدم الاعتراف بالله تعالى ولا بأية قوة غيبية أو موجودات هذا العالم المادي، والتعامي عن فكرة الألوهية، وأن الله تبارك وتعالى هو خالق الإنسان وفكره ومجتمعه وتاريخه والكون الذي يعيش فيه[6].

* يظهر أن (دوركايم) باختراعه فكرة [العقل الجمعي] وجعلها ظاهرة إنسانية أو حقيقة من الحقائق المهيمنة على الوجود الإنساني: قد أراد تهيئة جماهير الشعوب وهي معطِّلَة عقولها

(1) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص339-341 .
(2) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص97-98 .
(3) انظر: علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص25-26 و المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع لنبيل السمالوطي ص109-110 .
(4) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص97 .
(5) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص337 .
(6) انظر: كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص337 و المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع لنبيل السمالوطي ص118 .

وإرادتها كي تستسلم تلقائياً لشياطين اليهود حتى يلعبوا فيها كما يريدون[1]، ويكفي في بيان زيفها أنها لا تستند إلى دليل عقلي أو علمي يُمكن أن تُفسَّر به.

* أن استدلاله على [العقل الجمعي] بالجموع الغاضبة حين تتظاهر فتحطم كل ما تراه وأن هذا العقل الجمعي خارج عقول الأفراد وأن له سلطاناً جبرياً على الناس: كل هذا استدلال باطل؛ إذ حقيقة الأمر إنما ترجع إلى أن كل فرد في الجماعة يتوهم بأن الآخرين يُعْمِلون عقولهم فيتّكل عليهم فيُعطِّل عقله وإرادته باعتبار أن الموضوع يتعلق بمصلحة الجميع لا بمصلحته وحده، كما أن كل فرد إنما تظاهر لدافع قوي في نفسه، وكذلك فإن اجتراء كل واحد منهم على فعل ما لا يستطيع لو كان منفرداً ناتج عن ثقة كل واحد منهم بأفعال الآخرين فينقاد لهم برغبة منه، ثم إن هذه المسيرات الغاضبة والمظاهرات الحاشدة حدث طارئ وليس أصلاً في الحياة[2].

فهو يفسِّر الظاهرة بغير ما يصح أن تفسر به، كما أن تفسيره هذا تفسير لا دليل عليه.

* أن كلامه عن نشأة التدين واستدلاله بأحوال القبائل البدائية في استراليا؛ استدلال ساقط؛ إذ أين عقيدة التوحيد ورسالات الأنبياء وشرائع الرسل؟، وآراؤه ما هي إلا احتمالات واهية وتوهمات لا أساس لها ولا سند.

ثم إن مشكلته أن يُعمم الظاهرة الجزئية على كل السلوك الإنساني[3].

* ابتكاره لفكرة [العقل الجمعي] الذي يسيطر على الجماعة دون إرادة منهم ولا تفكير وأنه يحركهم كما يحرك راعي القطيع من الأغنام قطيعه: إنما هو تخيُّل مجرد من أي دليل عقلي أو علمي[4]، فكون هذا العقل الجمعي يجبر الناس على أن يتجهوا بدون وعي ولا إرادة إلى حيث تسير الجماعة: أمر باطل ينقضه فرد واحد يخالف ذلك، كما أن فيه حط من قدر الإنسانية واستخفاف بعقول البشرية؛ إذ تُصوِّر أفرادها كالبهائم لا عقل لها ولا إرادة.

* مغالاته في ضرورة تفسير الحقيقة الاجتماعية بحقيقة اجتماعية من نفس النوع واستبعاده لأي مؤثرات أخرى في الحياة الاجتماعية[5].

* يرد على فكرة [العقل الجمعي]: أن الدين فيه جوانب فردية كثيرة بين العبد ومعبوده، فكيف يكون مُلزماً إلزاماً جمعياً على عمل فردي؟، ثم لو كان يصح تفسير الدين تفسيراً اجتماعياً لأمكن كذلك تفسير جميع العلوم والمعارف والفنون والإنجازات الحضارية بأنها نتيجة العقل

(1) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص343 .
(2) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص342-343 .
(3) المصدر السابق ص343-348.
(4) المصدر السابق ص337 و ص341 .
(5) انظر: علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص33 و النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص102-103 .

الجمعي وأنه ليس للنبوغ الفردي في أشخاص العباقرة والمبدعين دور فيما أنجزوه !! وهذا ما لا يقوله عاقل[1].

* أن هذه النظرية تهدم الدين والأخلاق وتقتلعهما من جذورهما: وذلك لأنها تقيم العقل الجمعي موجِّهاً لكل أفراد المجتمع ومكوِّناً لأفكار أفراده ومذاهبهم وعاداتهم ومفاهيمهم، كما أنها تفسِّر ظاهرتي الدين والأخلاق في المجتمعات الإنسانية بأنها وليدتا أسباب اجتماعية فقط وليس لهما سند عقلي أو علمي وليس لهما دوافع فطرية في النفس الإنسانية، فالدين والأخلاق والقيم أمور اجتماعية تعارف عليها الناس واتفقوا عليها بينهم.

كما أن فيها التركيز على إلغاء الفطرة الإنسانية التي تنزع إلى الإيمان بالله تعالى وعبادته وإلى فضائل الأخلاق.

كما يلزم عليها أنه لا يمكن تصور ثبات شيء من القيم إطلاقاً فلا الدين ولا الأخلاق ولا المبادئ لها ثبات؛ بل هي متغيرات بسلطان العقل الجمعي الذي لا سلطان للمجتمع البشري عليه ولا حول لهم ولا قوة معه[2].

3) نظرية الصراع[3]:

إن المنظور الصراعي في علم الاجتماع يشتق جوهره ووحيه من أعمال (كارل ماركس) الذي أكّد على أن الصراع بين الطبقات الاجتماعية هو المحرِّك والمصدر الرئيسي للتغيير وهذا الذي يحكم الظواهر الاجتماعية في الطبيعة[4].

والصراع: هو مواجهة بين الأفراد والجماعات في سبيل الحصول على أكبر قدر ممكن من الموارد المحدودة، ودرجة الصراع قد تتزايد من الاستهجان إلى الاعتداء البدني ثم اللجوء إلى القانون لفض النزاعات[5].

وقد تُسمَّى هذه النظرية باسم (المادية الجدلية) أو (التطور الجدلي) [6]، ويُعتبر (ماركس) ماركس) هو المؤسس الأول لنظرية الصراع حتى أن الكثير من الناس يعتبر (ماركس) والصراع وجهان لعملة واحدة[7].

---

(1) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص346-347 .
(2) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص336-338 و ص343 .
(3) انظر: النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص143-18 و النظرية في علم الاجتماع لعبدالله محمد عبدالرحمن ص379-416 .
(4) المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص56 .
(5) نظرة في علم الاجتماع المعاصر لسلوى الخطيب ص245 .
(6) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص464 .
(7) نظرة في علم الاجتماع لسلوى الخطيب ص39 .

ولعل من أسباب نزعته الصراعية هذه أنه وُلد في ألمانيا لأبوين يهوديين ثم أُجبروا على تغيير دينهم: فاعتنق الأب النصرانية ـ وكان (كارل) في السادسة من عمره- لكي يتمكن من العمل ويتمكن أبناءه من الدراسة في زمن ظهور النزاعات القومية والدينية في أوروبا، ولم يواصل (كارل) دراسته الجامعية وكان ذا مزاج خاص[1].

ومن أسباب هذه النزعة أيضاً: تأثر (كارل ماركس) بالآثار السيئة التي خلفها النظام الرأسمالي من الفقر والحاجة والقهر والظلم وسوء توزيع الثورة وتركُزها في أيدي الملاَّك [الطبقة البرجوازية] وإهمالها لطبقة العمال [البروليتاريا] بسبب عدم العدالة في توزيع الثروة بين طبقات المجتمع.

وبسبب استغلال المُلاَّك للعمال وابتزازهم لهم وإرهاقهم بالأعمال الكبيرة في مقابل أجور زهيدة واستمتاعهم بالأموال الطائلة ينشأ الصراع بين هاتين الطبقتين بسبب تضاد مصالحهما، وأنه لن يتم حل هذا الصراع إلا بالثورة على هذا النظام الرأسمالي، وذلك لأن الطبقة المسيطرة لن تتنازل عن امتيازاتها ومكاسبها طواعية؛ فيُحتاج للعنف والقوة لأخذ الثروة من أيدي الأغنياء وتوزيعها على جميع الناس حتى يتحقق التوازن بين طبقات المجتمع[2].

ولقد كان (ماركس) يدعو إلى الصراع وينادي به؛ بل إنه مارس ذلك عملياً: فقد أصبح ثورياً محترفاً يكتب ويحاضر ويتآمر من أجل تحقيق الثورة على النظام الرأسمالي، والتي كان يعتقد أنها آتية لا ريب فيها[3].

فالصراع عنده هو الوسيلة الوحيدة لتغيير المجتمع ولاستئصال النظام الرأسمالي.

ولقد أثَّرت هذه النظرية ولا زالت تؤثر في التفكير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي حتى اليوم، وهي محاولة هامة جداً للوصول إلى نظرية متكاملة عن بناء المجتمع وتغييره والتمييز بين العوامل العليَّة المسؤولة عن كل عمليات التغير الاجتماعي ونتائجه على الحياة الاجتماعية[4].

كما كان لهذه النظرية آثار كبيرة على (ماركس) نفسه؛ إذ أثارت استياء كثير من الدول مثل: روسيا وألمانيا وأمريكا، ولقد طُرد من ألمانيا مسقط رأسه ومن عدة أقطار أخرى بسبب أفكاره المعادية للدين والدولة؛ فهاجر إلى باريس ثم طُرد منها، فرحل إلى بروكسل، ثم عاد إلى

([1]) انظر: مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص45 و كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص463 .
([2]) انظر: مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص46 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص17-18 و النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص159-165 .
([3]) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص143 .
([4]) علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص17 و ص19 .

ألمانيا بعد قيام الثورة، ثم لما فشلت الثورة عاد إلى باريس، ثم استقر به المقام في لندن، وظل بها حتى مات[1].

وكان لهذه النظرية آثار اجتماعية ضخمة: إذ أحدثت تغيرات كبيرة في العديد من المجتمعات؛ إذ أن كثيراً من الثورات إنما قامت نتيجة تأثرها بآراء (ماركس)، وعلى ضوء أفكاره تكونت دولة الاتحاد السوفيتي، فليس هناك نظرية أثّرت في العالم مثل نظرية (ماركس) في الصراع[2].

ويذكر بعض الكُتَّاب في علم الاجتماع فوائد عديدة لهذه النظرية، وأنها تعالج أهمية القيم في النجاح الاجتماعي والمالي في الحياة، وتأثير الرواسب الثقافية للطبقات الاجتماعية في تحصيلها الأكاديمي، وإظهار المنافسة في تقديم المصادر المالية للمدارس الغنية أكثر من المدارس الفقيرة، وكيفية استخدام المؤهلات الثقافية لدى الأفراد والجماعات في العمليات التنافسية[3].

- أما أفكار هذه النظرية فنلخصها في النقاط التالية:

* أن عملية الصراع لا تعني بالضرورة العنف برمته، إنما يدخل فيها التوتر والعداء والمنافسة التي تخرج من إطارها السلمي وعدم الموافقة على الأهداف والقيم[4]، وهي لا تنحصر في الصراع الطبقي بين الأغنياء – الملاَّك – والفقراء – العمال –؛ بل تشمل الصراع بين الجماعات العرقية وبين الأمم وبين الأحزاب السياسية والجماعات الدينية الرئيسية، وكل هذه الصراعات التي تحدث بين هذه الوحدات تقود إلى التغيرات الاجتماعية والحضارية[5].

* أن الصراع ليس حدثاً تلقائياً أو عفوياً يعمل على تمزيق وتفكيك المصالح العامة للمجتمع: إنما هو عملية تاريخية حتمية ومستمرة في الحياة الاجتماعية وذلك لحلّ التوتر والعداء القائم بين طبقتي الصراع الملاَّك والعمال.

وكذلك لأن التغير الاجتماعي دائم وحتمي في المجتمع، مما يعني استمرار هذا الصراع وحتميته[6].

* أن النظام الشيوعي هو النظام الأمثل للبشرية، وهو أفضل نظام اقتصادي لأنه يقوم على المساواة في الثروة بين أفراد المجتمع، وأن السبيل لإقامة الدولة الشيوعية هو سبيل الثورة المدمرة وليس غيرها، وأن الاشتراكية إنما هي مرحلة انتقالية بين مرحلتي الرأسمالية والشيوعية.

([1]) المصدر السابق ص45 و النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص144-145 .
([2]) نظرة في علم الاجتماع لسلوى الخطيب ص39 .
([3]) المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص59 .
([4]) المصدر السابق ص56 .
([5]) المصدر السابق ص311 .
([6]) المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص56 و ص58 .

*أن التطور الحتمي للصراع يعيد نفسه مرة تلو مرة، حيث ستقود الطبقة العاملة عملية التغيير في المجتمع من خلال الصراع حتى تتغلب على الطبقة الرأسمالية وتنشيء الدولة الاشتراكية تمهيداً للوصول إلى الشكل الاجتماعي الأخير مرحلة النضج الاشتراكي أي [الشيوعية] وذلك بإيجاد نظام لا طبقي يلغي الملكية الخاصة والآثار الناتجة عنها(1).

* توجِّه هذه النظرية اهتمامها نحو التغيير الاجتماعي، وتؤمن أن الصراع هو الطريق الطبيعي لإحداث التغييرات الاجتماعية والتاريخية(2).

* أن مفتاح التاريخ هو الصراع الطبقي بين من يملك وسائل الإنتاج والمال وبين المحرومين، فالتاريخ لا يذكر سوى الصراع الطبقي وأبطال التغيير في المجتمع، فإذا أردنا التقدم فعليه عزل طبقة الرأسمالية من خلال الصراع فقط(3).

* تمثِّل الثورة الاجتماعية قمة الصراع الطبقي وتلعب دوراً هائلاً في التقدم الاجتماعي، وينجم عنها بالضرورة تحطيم نظام اجتماعي قديم لكي يحل محله نظام حديث أكثر تقدماً، فالنظرية لها طبيعة ثورية حيث تدعو إلى العمل دائماً على تغيير الواقع الاجتماعي وخلق أوضاع جديدة ومتطورة دائماً(4).

* بناءً على قولهم بحتمية الصراع: فهم يرفضون أي إصلاح اقتصادي أو اجتماعي قبل إقامة الدولة الشيوعية، ويتأبَّون على التغيير والتطوير الناتج عن التوفيق بين الطبقتين – الغنية والفقيرة - والدمج بين مصالحهما، ويرون أن التغيير لابد أن يكون بسياسة حازمة لا بسياسة إصلاحية(5).

* يجب على عالم الاجتماع أن لا يكتفي بوصف وتفسير العالم من حوله؛ بل عليه أن يقود عملية التغيير في المجتمع ليس من خلال الإقناع وإنما من خلال الثورة على أصحاب رؤوس الأموال، لأنهم سيقاومون كل تغيير متوقع في المجتمع لما في ذلك من احتمالية سلبهم مزاياهم المالية والاجتماعية(6).

أي أن وظيفة العالِم ليست فقط دراسة الظاهرات الاجتماعية من أجل فهمها: ولكنها أيضاً تشمل الممارسة أو العمل من أجل تغييرها وفقاً للقوانين الاجتماعية التي يكتشفها(7).

---

(1) انظر: النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص171و ص182 و مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص47 و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص310 و كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص465 .
(2) المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص9 .
(3) مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص46 .
(4) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص164 و ص183 .
(5) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص465 و ص574 .
(6) مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص45-46 .
(7) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص182 .

* أن منشأ الصراع هو عدم المساواة بين أفراد المجتمع، وأن أسباب التغيير هي التوترات بين المصالح المتنافسة في المجتمع[1].

* أن البنية التحتية المتمثلة في علاقات الإنتاج وقوة الإنتاج هي المسؤولة عن الأشكال الثقافية أو الاجتماعية ومعرفة المجتمع والتغير الذي يطرأ عليه وإنشاء نظام اجتماعي تتحكم فيه نماذج مختلفة من العلاقات الاجتماعية[2].

* أن الصراع لا يعمل على تمزيق وتفكيك المصالح العامة للمجتمع ولا يهدف لإلحاق الضرر بمجالات المجتمع واستقراره، لكن أي تغيير اجتماعي لابد وأن يضر شريحة معينة ويُفيد أخرى، يضر الطبقة الغنية المتسلطة المستفيدة من الوضع القائم ولا ترغب في تغيير الواقع، لأن ذلك يضر بثرواتها ومكانتها الاجتماعية[3].

* أن لهذا الصراع فوائد كبيرة ونتائج ضخمة من أهمها:

- أنه من أكبر أسباب تغير المجتمعات بل هو الذي يوّلد التاريخ وينتج التغيرات الاجتماعية والحضارية.

- أنه يولد مزيداً من التقدم التكنولوجي الذي لم يكن ممكناً من قبل في ظل التنظيم الاجتماعي والاقتصادي التقليدي، فهو مصدر التطور والرقي.

- أنه يربط الأفراد من خلال التفاعل فعلى الرغم من أن الحقد والحسد يُبعدهم عن بعضهم البعض، فإنهم لن يكونوا قادرين على الدخول في الصراع دون أن يتفاعلوا مع أضدادهم أو مناقضيهم.

– تضامن الجماعات مع بعضها البعض عندما تعتقد أن مصالحها مهددة، وذلك أن الصراع يشجع الأفراد ذوي المصالح المتشابهة على الاتحاد أو الالتصاق كي يصلوا إلى أهدافهم.

- أن الصراعات بين الجماعات المتنافسة توجَّه نحو المشاكل الاجتماعية التي ينجم عنها تغير البناء وتُعتبر هذه الحركات الاجتماعية مصادر مهمة للتغيير.

- أن التغيرات الحاصلة بسبب الصراع الاجتماعي المستمر تمنع المجتمعات من الركود والخمول وتجعل المجتمع في حالة ديناميكية متغيرة[4].

([1]) المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص57-58 و ص310 .
([2]) المصدر السابق ص310 .
([3]) المصدر السابق ص56 و ص58 .
([4]) انظر فيما سبق: المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص57 و ص310-311 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص18 و النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص163 .

* أن طبقات المجتمع ظهرت إلى الوجود عندما تطور تقسيم العمل وتطور الإنتاج، فأصبح من الممكن أن يتملك بعض الناس فائض عمل غيرهم، وبالتالي استطاعوا أن يحققوا تراكماً من هذا الفائض مكَّنهم من أن يدخلوا في علاقات استغلالية مع جماهير المنتجين، وهكذا أصبح من الممكن أن تسيطر طبقة من الناس على طبقة أخرى[1].

* كل مجتمع صناعي يتألف من ثلاث طبقات:

أ) الرأسمالية: وهم الطبقة الغنية المستفيدة من الوضع القائم، لذا فهؤلاء لن يقودوا مهمة التغيير بل سيقاومونها.

ب) الطبقة الوسطى: ويُسميهم (ماركس) [طبقة الجبناء والمنافقين]، وهؤلاء يطمحون للوصول لطبقة الرأسماليين، فهم بمثابة حلقة وصل بين الرأسمالية والعمال، ويقومون بابتزاز العمال أكثر وأكثر لإرضاء الرأسماليين ونيل العطايا والمناصب، وهذا يحملهم على الخوف والتردد في قيادة التغيير في المجتمع.

ج) الطبقة العاملة: وهذه هي التي ستقود التغيير؛ لأنه ليس هناك ما تخسره، فهم المحرومون ولا أمل لهم في تغيير الواقع إلا من خلال الصراع[2].

* أن الصراع الطبقي هو القوة الدافعة ومصدر التطور في المجتمع الذي تسود فيه العلاقات العدائية بين الطبقات،

وكلما زادت حدة الصراع وكلما أصبحت الطبقات المستغَلِّة أكثر تنظيماً وشدة في صراعها ضد مستغليها: كلما كان تطور المجتمع أسرع وبطريقة أكثر كفاءة[3].

* لتطور المجتمعات مراحل ست تمرُّ بها، وهي:[المرحلة الجماعية البدائية – مرحلة العبودية – الإقطاع – الرأسمالية – الاشتراكية – الشيوعية]، وتمثل كل مرحلة تكويناً اقتصادياً واجتماعياً متمايزاً[4].

* أن المتغيرات التي يتم على أساسها تفسير الظواهر الاجتماعية هي المتغيرات الاقتصادية الاجتماعية ذات الطبيعة التاريخية، وأن الظروف المادية هي التي تفسِّر التطور التاريخي، ومن ثم يمكن دراستها عملياً[5].

* أن العملية الإنتاجية هي المصدر المبدع لظهور حاجات الإنسان وقدراته، وأنه كلما زاد النمو التكنولوجي ينشأ الصراع بين حالة المعرفة التكنولوجية وبين التنظيم الاجتماعي التقليدي

([1]) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص159 .
([2]) مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص46 .
([3]) انظر: النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص163-164 و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص310 .
([4]) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص158-159 .
([5]) انظر: المصدر السابق ص182 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص17 .

للاقتصاد، وأن السبب الأساسي في ذلك هو الصراع على المصالح بين الطبقات الاجتماعية [الحاكمة والعاملة]، وإذا وعت الطبقات العاملة مصالحها الحقيقية فإن الثورة تصبح أمراً لا مفر منه[1].

* أن الصراع إنما يقع في المجتمعات الصناعية، أما المجتمعات القروية – كالفلاحين والحِرَفيين - فإنهم ليسوا ثوريين؛ لأنه لا يحتلون مكانة مستقلة في المجتمع[2].

* أن تطور المجتمع إنما هو نتاج للتفاعل المستمر بين الإنسان والطبيعة من خلال العملية الإنتاجية، وكذلك هو نتاج الصراع القائم بين الإنسان والطبيعة وبين المجموعات الاجتماعية المتصارعة في المجتمعات الطبقية[3].

* يقوم تحليل (ماركس) على التركيز على الظروف المادية بدلاً من التركيز على القوة الروحية أو المثالية[4].

* أنه في مقابل انحياز (كونت) و (دوركايم) و (فيبر) و (باريتو) للطبقة العليا [البورجوازية] وتسخيرهم نظرياتهم لتبرير النظام الرأسمالي والدفاع عنه: نرى أن (ماركس) قد انحاز إلى الطبقة العاملة وسخّر نفسه ونظريته للدفاع عنها ونقد ومهاجمة النظام الرأسمالي من أجل الإطاحة به وإحلال النظام الاشتراكي محله[5].

- **آثار هذه النظرية:**

* لقد سيطر منظور الصراع على علم الاجتماع الغربي الأوروبي، ونشأت نظريات أخرى تأثرت بـــ(كارل ماركس)، وجعلت الصراع أساسها ومنطقها، واهتمت بجوانب أخرى غير جوانب الصراع بين طبقات المجتمع: فركّزت على الصراع بين الجماعات كما أكّد ذلك العالم الألماني (جورج زيمل)، وكذلك أشار (دوهر ندوف) إلى الصراعات التي تحدث بين الجماعات العرقية وبين الأمم وبين الأحزاب السياسية والجماعات الدينية الرئيسية.

* كما أن هذا المنظور ساد في أمريكا في الستينات؛ مما جعلها تسود بين علماء الاجتماع الأمريكان أمثال: (رايت ميلز) و (لويس كوزر) اللذان أكّدا على الصراع بين الجماعات المتعددة ذات المصالح المختلفة، كصراع كبار القوم مع صغاره، وصراع المنتجين

([1]) انظر: النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص148 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص17-18 .

([2]) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص165 .

([3]) المصدر السابق ص148 و ص182 .

([4]) علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص18 .

([5]) النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص145. وانظر أيضاً: ص182 .

والمستهلكين، وصراع سكان المدن ضد سكان الضواحي، وصراع الجماعات الطائفية والعرقية مع غيرها[1].

- ولقد تعرضت نظرية الصراع إلى نقد شديد في كتابات علماء الاجتماع، ومن أهم هذه الانتقادات ما يلي[2]:

* أنها ادعاءات تقريرية لا تعتمد مطلقاً على أي دليل عقلي أو علمي حسّي تجريبي، وأن كل ما قدمته إنما هو دعاوى وآراء دون بينات، أو أن أدلتها وهمية، وأنها ليست سوى توجهات اشتراكية نشأت في ظروف معينة قامت على تصور خاص للصراع لتوصل الناس لوضع معين، وأنها لا تمُتُّ للعلم بصلة، وليست نظرية علمية ولا واقعية[3]

* أن دولاً كثيرة وصلت إلى مرحلة الاشتراكية، بينما لا يوجد دولة بلغت مرحلة الشيوعية، وعليه فقد بقيت آراء (ماركس) في ذلك طي الكتب والتنظير[4].

* ما شاهدناه ولا نزال نشاهده من تحرر الكثير من الدول الاشتراكية من اشتراكيتها – وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي – ، وعودتهم إلى نظام السوق، وفساد تطبيقات هذه النظرية ونتائجها السيئة على مؤيديها[5].

* ما أدى إليه الصراع من الهدم والتفكك وإلحاق الضرر بمجالات المجتمع واستقراره[6].

* أن شعارهم الذي رفعوه: [رفع الفقر عن العمال]: فهل تحقق ذلك؟، لا لم يتحقق الهدف الذي من أجله قامت هذه النظرية؛ بل إنها أدّت إلى سحق الطبقة الوسطى وساوتهم بالعمال، وجرّدت الإنسان من ممتلكاته، ولم يَجْنِ الناس منها إلا الأذى وتسلُّط الشيوعيين على رقابهم.

* أن نظرية الصراع لا يمكنها الإجابة عن سؤال: لماذا كان للتكنولوجيا تأثير كبير على معدل التغير الاجتماعي في الدول المتقدمة؟، ولا تستطيع الإجابة عن سؤال: لماذا تتغير أشكال التنظيم الأسري؟، وفوق ذلك كله لا تستطيع الإجابة عن الاتجاه المستقبلي للتغير الاجتماعي.

إن النظرية الكاملة القبول يجب أن تفعل أكثر من أن تفسّر التاريخ فقط، يجب أن تعطينا معرفة كافية بالديناميكيات الاجتماعية لنتمكن من التنبؤ بالتطبيقات المستقبلية من الاتجاهات الحاضرة[7].

(1) المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص311 وص56 .
(2) انظر: النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم ص183 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص19 .
(3) انظر: كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص465 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص19 .
(4) مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص47 .
(5) انظر: المصدر السابق و كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص465 .
(6) المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص57-58 .
(7) المصدر السابق ص311 .

* أنها تفترض عدة افتراضات ليست دائماً صحيحة ثم تفرضها على جميع المجتمعات، ومنها:

- افتراضها بأن جميع المجتمعات يسودها الصراع والتوتر المستمر، وأنها ليست مستقرة متوازنة.

- افتراضها بأن على كل عنصر في المجتمع أن يساهم في تغييره، وليس المساهمة في بناء المجتمع وأعماله.

- افتراضها أن جميع أفراد المجتمع مرتبطون معاً من خلال الارتباط القسري لبعض أفراده الآخرين، وليسوا مرتبطين من خلال القيم العامة لأفراد المجتمع[1].

* يبدو أنها نظرية إنما تخدم مؤسسيها: فـ(ماركس) يهودي ويخدم مصالح اليهود؛ إذ من مصلحتهم امتصاص الغضب الجامح عند الناس من الرأسمالية، وتوجيه هذا الغضب ليحقق مصالح أخرى لليهود، وقد قام (ماركس) بذلك خير قيام، وقد دلت أحداث التاريخ على أن الثورات إنما يقطف ثمارها من يقودها، أما الناس فإلى الجحيم.

• وختاماً: فإن الصراع الحقيقي إنما هو صراع الحق والباطل، صراع الخير والشر، الصراع إنما هو سنة المدافعة التي تسعى إلى إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فهو تحرير الناس وبيانٌ لهم من غير إكراه، ثم إن للصراع صور متنوعة وأشكال متعددة: فليس ثورة ثم تنطفئ، وليس ظاهرة اجتماعية يُمليها التطور والتقدم، إنما هو واجب شرعي دائم يتخذ في كل حال الشكل الملائم له.

4) نظرية التطور الاجتماعي[2]:

وهي نزعة فكرية التي تحاول تطبيق مفاهيم علم الأحياء على المجتمع الإنساني، وتستند على فكرة المماثلة العضوية.

وطبقاً لذلك فالمجتمع يمر بمراحل تطورية معينة كالجسد الإنساني[3]، ويعتبر عالم الاجتماع الإنجليزي (هربرت سبنسر) أكبر من يّمثل هذه النظرية التطورية؛ فهو رائد الداروينية الاجتماعية[4].

([1]) المصدر السابق ص312-313 .
([2]) انظر: النظرية في علم الاجتماع لعبدالله محمد عبدالرحمن ص205-248 .
([3]) انظر: مفاهيم علم الاجتماع للسيد الحسيني ص18 و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص304 .
([4]) انظر: علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص16 و مفاهيم علم الاجتماع للسيد الحسيني ص18 .

لقد شاع في أوروبا منذ منتصف القرن التاسع عشر مبدأ التطور، وذلك بفضل كتابات (تشارلز داروين)، وقد تأثّر علماء الاجتماع بنظرية (داروين) في التطور واجتهدوا في تطبيقها على علم الاجتماع.

وتقوم هذه النظرية على أن الكائنات الحية تتطور باستمرار، وعلماء الاجتماع قالوا: كما أن الظواهر العضوية تتطور وتترقى: فكذلك المجتمع الإنساني، فالتطور الاجتماعي شبيه بتطور الكائن العضوي، وفرّعوا على ذلك جوانب أخرى ربما لم يكن (دارون) نفسه يقصدها: فقالوا بالتطور في الظواهر الاجتماعية والحياة الأسرية.

ولقد تأثر (سبنسر) بهذه النظرية الداروينية وطَّبقها على علم الاجتماع وقال بـــ[التطور الاجتماعي][1].

وكذلك كان لليهود دور كبير في نشر نظرية (داروين) والترويج لها وهي التي كانت ممهدة لظهور نظرية التطور الاجتماعي فقاموا بإبرازها على نطاق واسع وإظهارها على أنها حقيقة علمية ثابتة تدرّس في المدارس والجامعات ليست نظرية قابلة للصواب والخطأ، وقد نشروها لما لها من آثار كبيرة في تحطيم عقائد الأمميين[2].

لقد سيطر على (سبنسر) الفكر الإلحادي وملأت ناظريه الأشياء المادية وظن أنها كل شيء في الوجود[3].

- ومن أهم أفكار هذه النظرية ومعالمها ما يلي:

* شبّه (سبنسر) المجتمع بالكائن الحي تركيباً ووظائفاً وتكاملاً، فكما أن في جسم الإنسان قلب ورئتان يعتمدان على بعضهم البعض من أجل البقاء: فكذلك المجتمع هو شبه كائن حي، فيه اقتصاد ودولة يعتمدان على بعضهم البعض في البقاء، وعليه فلابد من تكافل وتعاون أجزاء الجسم لكي يبقى بوضع سليم وصحي، وكذلك المجتمع يجب أن تتكافل أجزاؤه وتأتمر بأمر الدولة[4].

* رأى (سبنسر) أن في فكرة التطور الذاتي ما أغراه بأن لديها تفسير كل ظواهر الوجود؛ فاتّجه إلى تعليل كل شيء بمبدأ التطور: من السديم الغازي إلى الإنسان ثم الرجعة إلى نقطة البدء، ثم تبدأ المسيرة ثانية وثالثة إلى ما لا نهاية له من المرات، وكل تكوين جديد لابد أن ينتهي بالفناء والموت[5].

([1]) انظر: المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص304 و مفاهيم علم الاجتماع للسيد الحسيني ص18 .
([2]) مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص93 .
([3]) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص474 .
([4]) مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص44-45 .
([5]) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص475 .

* يهدف علم الاجتماع عنده إلى اكتشاف المراحل الحتمية في التطور الاجتماعي متمثلاً في ذلك بـــ(دارون) في تتبعه لتطور الأنواع الحيوانية[1].

* عارض (الداروينيون الاجتماعيون) فكرة (كونت) التي تذهب إلى أن تطبيق المعرفة العلمية يمكن أن يؤدي إلى الإسراع بالتقدم الاجتماعي، إلا أنهم شاركوه بادعائه بأن التغير الاجتماعي عبارة عن عملية تطورية، ولكنهم أضافوا إلى ذلك أن التغير محتوم بقوى ثابتة لا يمكن أن تتعدل بالفعل الإنساني وأن كل المحاولات التي تُبذل للتأثير في مجرى (النمو التطوري) لن تؤدي إلا إلى قلقلة التوازن الاجتماعي الموروث، الأمر الذي يُحدث أسوأ الآثار[2].

فالتغيير حتمي والتطور لازم ولا يمكن تعديله وإنما الواجب هو اكتشاف مراحله والتكيف معها.

* تظل العمليات التطورية مستمرة في أداء وظائفها في المجتمعات الصناعية، ولكن تظهر هناك مستويات أخرى غير القوة البدائية تهيمن وتحكم على أن البقاء للأصلح، ويستمر هذا التطور ولا ينتهي إلا إذا أمكن إقامة النظام الأكمل والوصول إلى السعادة الكاملة[3].

* أن العقل عاجز قاصر عن إدراك الحقيقة، وأنها مغلقة لا يمكن إدراكها، ولا سبيل للعلم ولا للدين إلى إليها[4].

* يرى انعدام الثبات في القيم الاجتماعية، فلا يمكن تصور ثبات شيء منها على الإطلاق: لا الدين ولا الأخلاق ولا التقاليد؛ بل زعم أن التاريخ يوقفنا على أن هذه النزعات ليست فطرية في الإنسان، فالأفكار والمعتقدات وأنماط السلوك بل الحياة والعقل والفِطَر والمجتمع كلها خاضعة للتطور، وتتغير من جيل إلى جيل ولا تثبت على حال، كل الظواهر الاجتماعية في الحياة الأسرية كذلك، بل حتى الدين قابل للتطور والتغير من الشرك إلى التوحيد ثم إلى الشرك وهكذا.

فهو لا يعطي قيمة اعتبارية للوضع الحالي، ويعتبره طارئاً وسيتغير، وأن الواقع ما هو إلا مرحلة من مراحل التطور: فلماذا المحافظة على قداسته؟، ولماذا التقيّد بقيوده وضوابطه وقيمه ومبادئه؟ [5]

---

(1) علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص16.
(2) المصدر السابق .
(3) المصدر السابق ص16 .
(4) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص475-476 .
(5) انظر: كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص475 و مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص100 و ص116-117 .

* أن الفرد لا قيمة له بعيداً عن الجماعة، كاليد البعيدة عن الجسد لا قيمة لها، لذلك يجب أن يقوم كل جزء بوظيفته الموكلة إليه بأمانة ونظام لكي يبقى البناء سليماً وبعيداً عن الصراع والمرض والتنافر بين الأجزاء في الجسم الواحد أو في المجتمع الواحد[1].

* من خلال التطور يتَّجه المجتمع من حالة التجانس إلى حالة اللاتجانس، فالتقدم الاجتماعي في أي مجتمع يُقاس بمدى التشابه بين الوظائف التي يقوم بها الأفراد، فالتقدم هو تقدم المجتمع من ظروف يؤدي فيها الأفراد وظائف متشابهة إلى ظروف يؤدي فيها الأفراد وظائف متباينة وغير متجانسة، فالتخصص غاية كل تطور وارتقاء، وكلما كَبُر المجتمع: قلّ التجانس بين الأفراد وكثرت المهن والقوانين من أجل ضبط هذا التباين، وأن المجتمعات الصناعية أفضل المجتمعات لأنها تطورت إلى أفضل مستوى[2].

* أشار إلى أن المجتمعات القوية هي الأجدر بالبقاء، وتأثّر في ذلك بـ(دارون) واخترع عبارة [البقاء للأصلح] ليشرح بها القوة الرئيسية التي تكمن وراء التقدم التطوري، فالصراع في سبيل البقاء داخل المجتمعات أو بينها يؤدي إلى خلق حالة من التوازن الاجتماعي، ثم طبّق هذه النظرية على المجتمعات الإنسانية زاعماً أن الأجناس الغربية تطورت أكثر من غيرها لأنها كانت أكثر تكيفاً في مواجهة ظروف الحياة، وقد لاقت هذه النظرية قبولاً كبيراً حتى نهاية القرن التاسع عشر، وبقيت منتشرة في أوروبا وأمريكا حتى قيام الحرب العالمية الأولى حيث استُخدمت لتبرير هيمنة البِيض على غير البِيض، والغني على الفقير، والقوي على الضعيف[3].

* يذكر بعض علماء الاجتماع فوائد هذه النظرية والتي منها: أنها تساعد على تفسير أسباب حدوث التغيرات، فكلما أصبحت الثقافة ناضجة كلما زادت إمكانية الاختراعات والاكتشافات، وكلما أصبحت وسائل الإنتاج أكثر فعالية كلما جعل المجتمع يستخدمها ويستفيد منها في اقتصاده مما يؤدي إلى النمو السكاني والتحضر والتحديث، فهي تفسِّر تطوّر المجتمع من البساطة إلى التعقيد ومن اللاصناعية إلى الصناعية[4].

* من نتائج هذه النظرية أن أدّت (سبنسر) إلى تبني مفاهيم بيولوجية كالصراع من أجل البقاء والبقاء للأصلح، كما دفعته هذه النزعة إلى الدفاع عن النظام الرأسمالي الحر وقبول أفكار عنصرية دافع من خلالها عن سيطرة الجنس الأبيض على بقية الأجناس الأخرى[5](1).

---

(1) مدخل إلى علم الاجتماع لحسين فرحان وعدنان الأحمد ص45 .

(2) انظر: المصدر السابق و مفاهيم علم الاجتماع للسيد الحسيني ص18 و المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص304 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث ص16 .

(3) انظر: المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص304-305 و علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث 16-17 .

(4) المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص312 .

(5) مفاهيم علم الاجتماع للسيد الحسيني ص18 .

• وقد تعرضت هذه النظرية إلى انتقادات كثيرة، لعل من أهمها:

* أن هذه النظرية إنما هي امتداد لنظرية (دارون) التطورية والتي نشرها اليهود وروجوا لها كما ذكروا هم في بروتوكولاتهم، والهدف منها تحطيم عقائد الأممين.

*جعلهم هذه النظرية حقيقة علمية ثابتة، ولم يجعلوها نظرية محتملة للصواب والخطأ[2].

* أن إلحاد (سبنسر) لا يقوم على أي دليل: فلقد أعلن عجز العقل عن إدراك الحقيقة، واعترف بأنه لم يستطع أن يجد ما يقنعه بالإلحاد وما يقنعه بالله تعالى، ولو أنه استهدى بهدى الأدلة التي أرشد إليها القرآن لأبصر قضية الإيمان بالله تعالى ذات أدلة مقنعة مُرْوِيةً لظمأ العقول والنفوس والقلوب[3].

* إفساد الأديان والفِطَر والأخلاق، ولقد اعترف (سبنسر) في آخر حياته بتأثير المادية في انهيار الأخلاق.

* إلغاؤه لقداسة كل شيء، وإنكاره ثبات أي قيمة من القيم أو مبدأ من المبادئ، وبالتالي فلا داعي للمحافظة عليها أو احترامها، وإنما الانفلات من كل قيد أو ضابط، والانسلاخ من كل مبدأ أو قيمة[4].

* تجاهلها لحقيقة وتفسير الانتشار الاجتماعي من حيث كيفية تطور المجتمعات ولماذا تتطور باتجاه النموذج الغربي واعتباره هو النموذج الأمثل، وكل ذلك بلا دليل أو بيّنة[5].

* أن هناك مجتمعات تقليدية لم تتطور عبر خطوات متتالية – كما تزعم النظرية – ، بل تطورت من خلال اقتباس أفكار ومبتكرات من مجتمعات أخرى، فهم انتقلوا مباشرة إلى مجتمعات صناعية دون عبور المراحل التي ذكرتها نظرية التطور[6]. وغيرها من الانتقادات[7] التي تبين بطلان هذه النظرية وآثارها السلبية على الأفراد والمجتمعات.

([1]) ذكر بعض علماء الاجتماع بعض نظريات التطور المعاصرة والتي انبثقت فكرتها من نظرية (سبنسر) في التطور الاجتماعي. انظر: المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص305-306 .

([2]) مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص93 .

([3]) كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص476 .

([4]) المصدر السابق ص475-476 .

([5]) المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرون ص305 .

([6]) المصدر السابق .

([7]) انظر: المصدر السابق ص312 .

ثانياً: نقد عام لعلم الاجتماع:

وبعد أن ذكرنا أبرز نظريات علم الاجتماع وبيّنا أفكارها وسلبياتها يحسن بنا أن نذكر بعض الانتقادات الموجهة إلى العلم نفسه علم الاجتماع ذلك العلم الذي يحوي هذه النظريات، ومن أبرز هذه الانتقادات ما يلي:

أ)- أن غالب مؤسسي هذا العلم وأبرز شخصياته المؤثرة فيه كانت لهم سِيَر سيئة، وكانت دوافعهم للكتابة في علم الاجتماع مشبوهة، وقد ذكرنا بعض فضائح هؤلاء ومنها:[إلحاد – اشتراكية – أزمات عقلية – اختراع دين (الإنسانية) – يهود – محاربة تدين – هدم قيم وأخلاق – ثوريون – شيوعيون – كراهة الإسلام وعداء أهله – عنصرية – كان ذا مزاج خاص- ...]، فكيف يُقبل من مثل هؤلاء تأسيس علم كامل وصياغة أفكاره ومبادئه؟؟.

وفي كثير من نظريات هذا العلم أيادٍ خفية لليهود: فبعض علماء هذا العلم يهود، وبعضهم تأثر باليهود الذين يسعون لإفساد عقائد البشرية وهدم أخلاقها ليسهل عليهم فيما بعد أن يستحمروا الناس، فاستخدموا الدعاية والإعلام لتلميع هؤلاء العلماء وإبرازهم ونشر نظرياتهم والترويج لها(1).

ب)- أن نظريات علم الاجتماع ومدارسه إنما هي مجرد أفكار فلسفية وقيم أخلاقية تخصّ مجتمعات وثقافات معينة، تختلف عنا اختلافاً كبيراً في العقائد والأفكار والأخلاق والعادات(2)، فهو علم أوروبي النشأة ظهر نتيجة تغيرات ثورية وأزمات فكرية ودينية وسياسية – الثورة الفرنسية – واقتصادية – الثورة الصناعية - ، ومصادره هي الفلسفة اليونانية والفكر النصراني ومرجعيته البيئة الأوروبية.

كما أن هذا العلم كان وسيلة حرب فكرية بين المعسكر الرأسمالي والشيوعي، وكان كل معسكر يوجهه لصالحه وليمهّد لأفكاره ومخططاته وليُصدر نظريات ضد المعسكر الآخر.

وأما (علم الاجتماع العربي) فما هو إلا صورة طبق الأصل عن علم الاجتماع الغربي(3).

ج)- قيام أغلب نظريات علم الاجتماع على الإلحاد كما اعترف بذلك علماء الاجتماع في الغرب(4).

د)- أن جميع نظريات هذا العلم قد تأثرت إلى حد كبير بالعداوة الشديدة بل والنفور التام القائم بين الكنيسة وبين العلم في الغرب مما ألقى بظلاله على هذا العلم ونظرياته.

---

(1) انظر: كواشف زيوف لعبدالرحمن حسن حبنكة ص336 و مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص106 .

(2) علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام لأحمد إبراهيم خضر ص16 .

(3) مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص118 .

(4) انظر: علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام لأحمد إبراهيم خضر ص177-192 .

ه)- ما ترتب على كثير من نظريات هذا العلم من تحطيم القيم والأديان والأخلاق والتقاليد والعادات، وتحت علل عديدة، مما أثّر على تلك المجتمعات وأفقدها توازنها.

و)- افتقار كثير من نظرياته إلى التجرد العلمي والموضوعية والصدق والبحث الدقيق، وإنما هي مبالغات وتعميمات لا دليل عليها من علم أو عقل أو تجربة.

ز)- فشل كثير من نظريات هذا العلم في خدمة المجتمع الذي يتباهون بأنهم متخصصون فيه، وفشلهم في تبسيط مسائله والبعد عن الغموض والتعقيد.

ح)- السلبيات الكثيرة والانتقادات الشديدة التي تُواجه بها كل نظرية سواء من علماء الاجتماع أو من غيرهم.

إلى غيرها من الانتقادات والطعون.

ثالثاً: النظرية الإسلامية علم الاجتماع:

إن هذا الدين الإسلامي الذي جاء رحمة للناس وهدى لهم ونوراً يضيء لهم الحياة: لم يغفل الجانب الاجتماعي ، ذلك الجانب الذي يقول على عدة مرتكزات، وهذه بعضها:

1- أنه قائم على القرآن والسنة، مثله مثل جميع جوانب الحياة التي لا غنى لها طرفة عين عن هدى الله تعالى ونوره، قال تعالى: ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ سورة الأنعام 38.

2- التسليم لله تعالى في كل مناحي الحياة، فلا مشرّع غيره، ولا آمر ولا ناهي سواه، وقد بعث لنا رسولاً يبلغنا شرعه ، فالقيم والأخلاق والمبادئ ثابتة مستقرة لا تتغير ولا تتبدل، ولا نستقيها من غيره، ولسان حالنا ومقالنا دائماً: ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ سورة النساء 59 .

3- وجوب أخذ العلم عن أهله العالمين به، واتباع المنهج العلمي الصحيح والصدق في البحث ، واطراح الظنون والأوهام، وترك التعميمات والمبالغات وعدم تصديق كل ناعق كما قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ سورة الحجرات 6 .

4- أن الإسلام هو دين التوازن والاعتدال، دين لا يبالغ في جانب على حساب آخر، ولا يهمل في حق لإيفاء حق آخر، دين يوازن بين الروح والجسد، وبين الفرد والجماعة، وبين الدنيا والآخرة، كما جاءت به النصوص كثيرة في الكتاب والسنة: يقول المصطفى ﷺ : ((فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا))[1]، ويقول تعالى: ﴿ وابتغ فيما آتك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ سورة القصص 77 .

([1]) رواه البخاري (1975) .

5- أن عقيدة الفرد ومبادئه هي المؤثرة في تصرفاته والدافعة لأفعاله: فالمؤمن يخشى الله فيعامل المجتمع بالحسنى وبما أمر الله به، وأما الكافر أو الملحد فلا إيمان يدفعه ولا خوف يردّه، كما قال النبي ﷺ : ((ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت: صلح الجسد كله، وإذا فسدت: فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))[1].

6- أن للإيمان بالغيب أثر عميق في تشكيل تصورات الفرد وتصرفاته وتعاملاته، كما قال تعالى بعد أن ذكر حل أحد المشاكل الأسرية: ﴿ ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ سورة الطلاق 2 .

7- أن الله تعالى حث على السير في الأرض والنظر في أحوال الأمم واكتشاف السنن الكونية والاستفادة منها في بناء المجتمع وحل مشاكله، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ سورة الحج 46 ، ويقول جل وعلا: ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ سورة ال عمران 137 .

هذه بعض مرتكزات الجانب الاجتماعي في الإسلام، وغيرها كثير، ولا عجب، فالدين دين الله ، وهو خالق الخلق والعليم بهم وبما يصلحهم، وهو القائل جل ذكره: ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ سورة الأعراف 96 .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ،،،

(1) رواه البخاري (52) ومسلم (1599) .

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فلقد توصلت في ختام هذا البحث المختصر إلى نتائج مهمة لعلّ أبرزها ما يلي:

1- أن علم الاجتماع الغربي إنما هو نتاج تيارات فكرية وثورات سياسية واقتصادية وظروف معينة نشأت في ذاك الزمان أدّت لبروز هذه النظريات كعلم ثم روّج لها الإعلام السياسي واليهودي ونشرها وأبرزها.

كما أن معرفة خلفيات أصحاب النظريات ودراسة سيرهم الذاتية من أعظم ما يعين على كشف دوافعهم في كتابة هذه الآراء وبالتالي يسهل ردّها وبيان بطلانها.

2- التنبه إلى أن كثيراً مما يروّجه الغرب على أنه حقائق أو نظريات علمية إنما هو أغاليط وتوهمات ودسائس ومؤامرات، وضرورة العمل على فحص وتمحيص أي فكرة وافدة وعدم الاغترار أو الانبهار بالزخارف أو المسمّيات والتي ليس ورائها إلا السراب.

3- أهمية التأصيل لعلم الاجتماع الحق بالرجوع لنصوص الوحي وكلام العلماء وتجارب العقلاء والاستفادة مما يمكن الاستفادة منه من علم الاجتماع المعاصر وبيان الحق واكتشاف السنن الكونية وإفادة المجتمعات وحل مشاكلها والارتقاء بها.

هذا وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، والحمد لله أولاً وآخراً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع والمصادر :

1- اتجاهات نظرية في علم الاجتماع لعبد الباسط عبد المعطي، عالم المعرفة ، الكويت ، 1401هـ .
2- حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية لمحمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط1 ، 1418هـ.
3- الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، طبعه: حسن عباس الشربتلي، ط2 ، 1402هـ.
4- علم الاجتماع لعبد الباسط محمد حسن، مكتبة غريب، القاهرة، ط2 ، 1982م .
5- علم الاجتماع لعبد الحميد لطفي، دار النهضة العربية، بيروت، ط7 ، 1981م .
6- علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 1983م .
7- علم الاجتماع لمصطفى فهمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة .
8- علم الاجتماع الإسلامي لزيدان عبد الباقي ، ط1 .
9- علم الاجتماع [النظرية – الموضوع - المنهج] لمحمد الجوهري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1 ، 1992م .
10- علم الاجتماع ومدارسه لمصطفى الخشاب، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1979م .
11- علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام لأحمد إبراهيم خضر، المنتدى الإسلامي، لندن، ط1 ، 1413هـ .
12- القاموس المحيط ، الفيروز أبادي، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م .
13- قراءات في علم الاجتماع لأحمد كمال أحمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1397هـ .
14- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط3 ، 1419هـ.
15- مبادئ علم الاجتماع لطلعت إبراهيم لطفي، مؤسسة الأنوار، الرياض، ط2 ، 1984م.
16- المدخل في علم الاجتماع لفهمي سليم وآخرين، دار الشروق، الأردن، ط2 ، 1994م.
17- مدخل إلى علم الاجتماع الحديث لحسين فرحان رمزون وعدنان الأحمد، دار وائل، الأردن، ط1 2002م .
18- مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط7 ، 1413هـ.
19- معالم بناء نظرية التربية الإسلامية لمقداد يالجن، دار عالم الكتب، الرياض، ط2 ، 1411هـ .
20- مفاهيم علم الاجتماع للسيد الحسيني، دار قطري بن الفجاءة، قطر، ط2 ، 1407هـ .
21- المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، ط 18 .
22- المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع لنبيل محمد السمالوطي، دار الشروق، جدة، ط2 ، 1406هـ .
23- نظرة في علم الاجتماع المعاصر لسلوى عبد الحميد الخطيب، مكتبة الشقري، القاهرة، ط1، 2002م .
24- النظرية في علم الاجتماع لسمير نعيم أحمد، دار المعارف، ط5 ، 1985م .
25- النظرية في علم الاجتماع [النظرية الكلاسيكية] لعبدالله محمد عبدالرحمن، دار المعرفة الجامعية، القاهرة ، 2003م .